٣٦

العقل

أنا فتاة من الشرقية من عائلة طيبة .. تعليمى متوسط .. بدأت حياتى من سن السادسة عشرة .. شاءت الظروف أن أشتغل ممرضة بأحد المستشفيات وكنت فى تلك السن زهرة يانعة جميلة أتدفق بالمرح والحياة والنشاط .

وأقبلت على عملى برغم مالاحظت من احتقار الناس لهذا العمل النبيل .. والغريب أن الناس يأخذون منا صحتنا وشبابنا ويبخلون علينا حتى بالتقدير والتشجيع الأدبى فى مقابل عمرنا الذى نبذله مجانًا للمرضى ..

وكان لهذا النكران والهوان والاحتقار الذى أحس به فى كل مكان أثره فى نفسى .. فبدأت أفقد ثقتى بالمثل والأخلاق .. وبدأت أقول لنفسى .. إذا كان هذا رأى الناس فى الممرضة .. أنها فتاة خليعة تمشى على كيفها فلماذا أعذب نفسى بالحرمان وأضيع عمرى خلف تقدير لن أحصل عليه .. ولماذا أجرى خلف الشرف .. والشرف يتبرأ منى ..

وبدأت أسهر .. وأتمتع بكل لحظة فى حياتى .. حتى أفقت فى يوم وقد وصلت إلى السابعة والعشرين من عمرى .. ولم أعثر بعد على حب عظيم أعتز به .. أو رجل نبيل أطمئن إليه ..

كل الرجال الذين عرفتهم كانوا غشاشين .. يبذون الحنان ليحصلوا على المتعة بأى ثمن .. ثم لا شىء بعد هذا .. كل حنانهم يتبخر ..

غش .. وسفالة .. واخلال .. وكذب .. فى كل مكان .. وكل رجل ..

ورجعت بذاكرتى إلى الوراء .. وندمت حيث لا ينفع الندم ..

ندمت على كل خطوة خرجتها مع رجل .. وكل لحظة ابتذلت فيها نفسى من أجل لذة . أى لذة .. ورجل ، أى رجل ..

ولكن المشكلة الآن أن الإنسان يكبر .. وفرص الزواج تقل يومًا بعد يوم ..

وأنا تعودت أن يكون معى رجل .. وأشعر أنى عاجزة أن أرجع كما كنت زمان .. وأستغنى عن هذه الحكاية ..

وكلما فكرت فى المستقبل اسودت الدنيا فى وجهى .. ورحت أبكى وأمزق شعرى فى حرقة ومرارة ..

والآن أتوسل إليك .. ساعدنى فى حيرتى .. ماذا أفعل .. لأجد رجلا يحبنى ويتزوجنى :

° ° °

إن السحر الذى يستعبد الرجل ويخلب لبه .. ويجعله يطلع يجرى على المأذون ليتزوج .. هو عقل المرأة .. عقلها أولا .. وعقلها ثانيًا .. وعقلها ثالثًا .. وبعد ذلك جمالها وفلوسها وحبها .. إلخ .. إلخ ..

وهذا طبيعى لأن العقل هو أهم شىء فى الزواج .. وأهم ضمان فى نجاح الزواج .. لأن الإخلاص عقل .. والوفاء عقل .. والقيام بمسئولية البيت عقل .. وتربية الأطفال عقل .. وتدبير ميزانية البيت عقل .. ورعاية الرجل فى مرضه وفى فشله وفى إفلاسه عقل .. وكفالة المظهر المحترم أمام الناس عقل ..

عملية الزواج كلها عقل فى عقل ..

والزواج الناجح يحتاج من المرأة إلى التعقل .. لأنه يحتم عليها أن تتنازل عن الكثير من هوس الشباب وطيشه ولذاته .. وتتنازل عن بعض نفسها لتتقاسم

الحياة مع رجلها الذى تنازل أيضًا عن طيشه وعينه الفارغة الزايغة .. ليعيش ..

ومهما كانت المرأة جميلة وجذابة وفاتنة .. فهذا لا يكفى ليغرى الرجل بالزواج منها إلا إذا كان مغفلا ..

وأنا أذهب إلى أبعد من هذا ..

أنا أبخل حتى بالهلس مع الفتاة السايبة التى تتنقل فى طيش وترخص من رجل إلى رجل .. مهما كانت جميلة وساحرة .. لأنى أشعر أنى أدلق صحتى فى بالوعة يدلق فيها الكل إفرازاتهم .. وأنى أفوز بشىء لا قيمة له إطلاقًا .

والمرأة حتى ولو كانت .. صيدة .. لا تفوز باهتمام الرجل إلا إذا شعر بقيمتها وغلوها ..

ومعنى هذا أن العقل مطلوب لدوام أى علاقة حتى لو كانت العلاقة هلس فى هلس ..

ونصيحتى لك .. أن تبذل كل عقلك وذكائك .. وإذا استطعت أن تقنعى رجلا واحدًا بأنك إنسانة ذكية وعاقلة ، وأنك يمكن أن تكونى محل ثقة .. فإنك ستتزوجين قبل مضى هذا العام ..

تمنياتى الطيبة .. ولا تنسينى بعلبة الملبس ..

٣٧

الناس والظروف

بدأت حياتى فى سن الرابعة عشرة حينما بدأت أحس أنى رجل مسئول وأن على أن أساهم فى الكفاح من أجل بلدى .. ويومها انضممت إلى أحد الأحزاب السياسية وبدأت أشتغل بالسياسة وأخطب وأهتف وأنظم المظاهرات فى المدرسة الثانوية التى أتعلم بها .. وكنت حين ذاك طالبًا فى السنة الثالثة ..

وكما يحدث دائمًا فى مثل هذه الأمور .. كانت النتيجة هى الغرور والإحساس بالعظمة والأهمية .

وبدأت أعامل نفسى على أنى رجل مهم .. وأنظر إلى نفسى على أنى زعيم .. وصاحب رسالة .. ولا يهم أن أرسب فى الجغرافيا والكيمياء .. فالزعماء ليسوا فى حاجة إلى كيمياء ..

ورسبت أكثر من سنة فى دراستى الثانوية .. وقضيت سنوات الدراسة دوبل .

وكان يحدث فى أثناء موجات الاعتقال .. أن أتوقف عن نشاطى السياسى .. وأبدأ فى شغل فراغى بالاستغراق فى شرب الخمر والعلاقات النسائية .. وكلهن نسوة محترفات بالطبع .. وكانت المسألة تبدو لى جزءًا من الزعامة والباشوية التى أسعى للحصول عليها .. فهكذا يفعل الباشوات أيضًا .. يشربون ويسكرون ويعربدون مع النساء فى أوقات الفراغ من الزعامة ..

ودخلت كلية الحقوق .. وتخرجت محاميًا .. وفتحت مكتبًا فى القاهرة تحت

فيه كثيرًا .. ولم أكسب مليمًا .. وفكرت فى العودة إلى بلدى لأمارس مهنتى ..

وكان حظى فى البلد أحسن من حظى فى القاهرة بكثير .. ونجحت وكثرت الفلوس فى يدى .. وانهالت القضايا على المكتب ..

وكنت فى هذا الوقت قد بلغت الخامسة والثلاثين .. وكان المكتب على كثرة شغله يترك لى نصف يوم فراغًا لا أعرف كيف أملؤه .

وكنا نجتمع أنا وطبيب المركز ووكيل النيابة والعمدة لنلعب القمار .. أو نسكر .. أو نذهب إلى بيت مشبوه حيث نجد كفايتنا من النسوة المحترفات .. وحيث نقضى لياليا الحمراء حتى الصباح ..

وكنت قد نسيت أحلام الزعامة .. والباشوية .. والسياسة العليا .. واكتفيت بلذات هذا الواقع الرخيص .. أغرق فيه كلما وجدت لحظة فراغ .. ولكنى فى نفس الوقت كنت قد كبرت على هذه اللذات .. وأصبحت لا أشعر بسعادة فى هذا اللون المراهق من الاستهتار .. كنت فى الحقيقة قد كبرت على عاداتى القديمة .. وفى أغلب الحالات التى كنت أصطحب فيها هؤلاء النسوة المحترفات كنت أجزل لهن العطاء آخر الليل دون أن أفكر فى أن أنال منهن شيئًا ..

كنت أشعر أنهن نساء بائسات .. وأنى أنا أيضًا رجل بائس مثلهن ..

وفى هذه المرحلة الحرجة من حياتى .. قابلتها لأول مرة .. فى بيت من هذه البيوت المشبوهة .. وكانت حاملا فى شهرها الثالث .

فتاة فى العشرين ذهبية الشعر .. جميلة .. جمالها هادئ طيب برىء حزين .. لا تتكلم إلا قليلا وتعيش فى وسطها الردىء .. وكأنها لا تنتمى إليه ..

وقضيت معها ليلتى .. وتعدد لقاؤنا .. مرة .. ومرات .. وعرفت أنها تعول

أمًّا مريضة مشلولة .. وأخوات صغيرات فى المدارس .. وأنها العائل الوحيد لهذه الأسرة بعد وفاة الأب مصدورًا ..

وتعرفت على أمها وأخواتها ..

وحدث فى هذه الأثناء أن جرحت فى حادثة تصادم واحتجت إلى عملية نقل دم .. ومثل هذه العملية فى قريتنا تحتاج إلى يومين .. فالقرية تتصل بالمركز والمركز يتصل بمستشفى البندر .. ويطلب عربة إسعاف تحمل الدم حتى لا يتلف .. وإلى أن يحضر الدم يكون الجريح فى العادة قد شبع موتا ..

والذى حدث فى تلك الليلة أنى فتحت عينى فوجدتها جالسة إلى جوارى .. وعرفت أنها تبرعت بلتر من دمها .. من أجلى ..

وهكذا توطدت علاقتنا .. وبدأت تكشف لى الأيام عن روحها الطيبة الشفافة .. ونفسها التواقة إلى حياة العفة .. وكانت تقول لى دائمًا إنى أشعر أنى بحبك أنجو من الهوان .. إن حبك هو عذرى الوحيد الذى أتعلل به لأحترم نفسى .. أنا بدونك إنسانة ميتة .. إنسانة ساقطة تمامًا ..

وهكذا مضت الأيام تنسج لنا خيوط حب عميق متين .. وأملا لروحينا الضالتين الوحيدتين ..

واستطعت أن أحس بومضة الشرف فى روحها .. وتطلعها البائس إلى حياة نظيفة .. فيها حب .. ونظام .. ومعنى .. واستطعت أن أفهم ماضيها الطويل المشين الذى يجرر خلفه ظروفًا قاسية لا قدرة لها على مقاومتها ..

وأحسست أنى أفهم عذابها .. فأنا أيضًا رجل فاسد أجرر خلفى حياة طويلة مشينة كلها كذب وادعاء .. وأنا مثلها أتطلع بروحى إلى حياة فيها معنى وفيها حب ..

وشعرت أن بيننا رباطًا لافكاك منه ..

وصارحتها برغبتى فى الزواج منها .. فرفضت بشدة وبكت وقالت إنها لا تقبل أن نسىء إلى سمعتى .. وأن كل ما تطلبه من الدنيا هو أن أحبها ..

أصدقائى كلهم ضد فكرة زواجى بها ويستبعدون على مومس أن تحب وتتوب وتكون زوجة فاضلة .. ولكنى مُصر على الزواج بها .

مارأيك ؟..

° ▪ °

الحب الحقيقى الصادق قد ينتشل المرأة من خطيئتها ويكشف لها وجه الحياة الشريف الجميل النقى .. تمامًا كما ينتشل الرجل من فساده واستهتاره .

وأنا لا أستبعد على مومس أن يردها الحب إلى مشاعرها الإنسانية النبيلة .

ورأيى أن الزواج مسألة شخصية جدًا ..

افعل ما يدلك عليه قلبك وإحساسك فحياتك ملك لك وحدك ..

٣٨

تلفيق الحب

أنا فتاة فى السابعة عشرة من عمرى فى الثانوية العامة .. فتاة لم أذق طعم الحب ولم أره فى حياتى .. وهذه هى مشكلتى !

كثيرات من بنات جنسى يروين لى مغامراتهن مع أحبائهن .. وعن جمال الحب وعذابه وسهره وأنينه .. وأجلس أنصت لهن ويدى على خدى ودموعى فى عينى .. ويسألنى فى النهاية عن قصة حبى فلا أجد شيئًا أقوله .. فليست لى مغامرات وليس لى عشاق ولا محبون .

سألت مرة والدى عن معنى كلمة الحب فقال لى إنه ترابط قلبين مخلصين إلى الأبد وهو شعور جميل جدًا ..

وسهرت ليالى كثيرة أفكر فى كلامه .. وأسأل نفسى .. هل أنا بلا قلب وبلا إحساس .. هل أنا إنسانة مجردة من الشعور ؟

واخترت شابًا طيبًا يسكن بجوارى .. صغيرًا جدًا فى السن .. وبدأت أقول لزميلاتى إنى أحب هذا الشاب .. وأزين لنفسى أنى أحبه فعلا .. لأثبت لنفسى أنى فتاة ذات قلب ينبض بالشعور والإحساس .. وأنى فتاة ذكية عرفت كيف تحب وكيف تختار حبيبها ..

ولكن صاحباتى يقلن عنى إنى ساذجة جدًا .. وإنى لن أنجح فى الحياة .. هذا مع العلم أنى دائمًا من الأوائل فى مدرستى ..

أظن أنك تضحك الآن .. وتقول عنى فتاة مراهقة .. لا .. أنا لست

مراهقة .. أنا بنت ناضجة . ولكن كل ماق الأمر أنى لم أحب ولم أجرب الحب مطلقًا .. ولهذا أشعر بنقص شديد .. وضيق .. وعذاب .. حينما تقول عنى صاحباتى .. إنى ساذجة ..

هل تتصور أنى عندما أدخل فيلمًا فى إحدى دور العرض ويكون فيلمًا غراميًا مثيرًا .. وأرى مناظر الحب والغرام .. أشعر بالبكاء .. وأشعر بغصة الدموع فى حلق .. وتتنابنى طول عرض الفيلم مشاعر متفاوتة من اللذة والألم والنقص .. النقص لأنى لم أحب .. ولا أعرف ما هوالحب كما تعرفه زميلاتى .. وأظل طول الليل ساهرة أحاول أن أطرد هذه الكلمة من مخى .. الحب .. الحب .. وتظل الكلمة تطاردنى .. وتأكل مخى .. بلا نهاية .. ماذا أفعل ؟..

* * *

أولا أحب أن أقول لك إن هذه السن .. سن السابعة عشرة هى سن الفشر والأوهام والخيالات .. ومعظم الحكايات التى تحكيها لك صاحباتك فشر فى فشر .. فالبنات والأولاد يلذ لهم فى هذه السن أن يتخيلوا وقائع لا أساس لها .. ومغامرات لا أصل لها .. ثم يحكونها لبعض على أنها مآس .. ودرامات حب عنيفة جربها كل منهم واكتوى بنارها وبكى واشتكى .. وسهر الليالى .. وكل مأساة من هذه المآسى لا تزيد فى أصلها عن قصتك أنت وجارك .. قصة لا معنى لها .. يصنع منها الخيال مصيبة وكارثة من كوارث الهوى الحراق .. ويروح كل واحد يقنع نفسه .. ويقنع أصحابه بأنها حقيقة .. وأحيانًا يصدق نفسه ويبكى فعلا .

أما الحب الحقيق فهو فى نظرى شعور ناضج عميق .. وهو لا يمكن أن يوافى الرجل أو المرأة قبل العشرين .. لأنه يحتاج إلى درجة كبيرة من النمو العقلى

ومن اكتمال الخبرة

الحب ليس بالشعور الذى نطلبه ونجرى وراءه لمجرد التقليد .. ولمجرد أننا سمعنا أن فلانًا أحب .. تأخذ ذيلنا فى أسناننا وطيران على أول جار واقف فى الشباك .. ونروح نازلين فيه حب . ده كلام فارغ ودى هى المراهقة فعلا ..

الحب شعور تلقائى يغزو القلب من تلقاء نفسه .. بدون استدعاء .. وبدون أن نرسل له التماسًا ..

وحب السابعة عشرة لا يمكن أن يكون حبًا .. إنه فضول .. نزوة شهوة .. لعب .. أى شىء إلا أن يكون حبًا ..

اشكرى ربك على أنك لم تتورطى فى هذه الحماقات .. وتأكدى أنك لست ناقصة .. وإنما أنت عاقلة .. لا تستعجلى نصيبك .. ولاتلفتى الأكاذيب لترضى بها فضولك ..

اتركى قلبك على سجيته .. وتأكدى أن الحب سيطرق بابك فى حينه ..

٣٩

عدو النساء

أنا عدو النساء رقم واحد .

واعذرونى إذا كنت أتجرأ وأشتم كل النساء .. فأنا وصلت إلى حالة عصبية فقدت فيها عقلى .. واتزانى .. وسماحتى .. وأدبى .. وأخلاقى . واسمعوا حكايتى :

منذ ثلاث سنوات .. فكرت فى أن أتزوج .. وأكمل نصف دينى .. وكأى رجل يدخل السينما ويقرأ المجلات ويختلط بالناس وينظر بعينيه باليمين وبالشمال .. كان أملى الوحيد هو أن اتزوج امرأة جميلة ..

وشكرًا للظروف الطيبة .. فقد وجدت هذه الجميلة ..

وأى جمال ! !

جمال صارخ ..

بشرة بيضاء بلورية .. عود لين ملفوف سرح .. شعر ذهبى يرقص ويتمخطر على الكتفين .. عيون واسعة كعيون الغزلان .. فم أحمر متوهج مثل حبة الكرز .. ساقان مثل السيقان التى ترين إعلانات جوارب النيلون .. يدان ناعمتان مثل يدى الجيوكندا ..

جمال صارخ .. بكل معنى كلمة صارخ ..

وفرحت .. وقفزت من الفرح .. ولم أهدأ حتى كتبت الكتاب .. وانتقلنا إلى بيت الزوجية السعيد .. وبدأنا أيام العسل ..

وبدأت المتاعب .. والتلميحات .. وغمزات الغزل من كل جانب .. وياحلاوته اللى ماشى على قشر بيض .. أحب السمك الرعاش .. ياملبن انت .. ياقشطة .. يالوز .. ياجوز . يامكسرات .. ياكريم شانتيه ..

وعلى باب البيت ينادى العيال الذين يلعبون فى شقاوة .. معسلة أوى يابطاطة .. والبطاطة هى زوجتى فاطمة طبعًا ..

وتضحك الست فاطمة .. وأغلى أنا من البطاطة ونار البطاطة ..

وأنا ذنبى إيه يارب بس .. عملت إيه ؟!

إذا تركتها تخرج وحدها عادت وراءها خمس عربات كاديلاك توصلها للباب .. وكل عربة فيها شاب صايع مسبسب .. يفتح الباب ويهمس .. عيب الحلاوة دى تمشى على رجليها .. عيب الجمال ده يتمرمط فى الشارع .. الجمال ده لازم يتحط فى قصر .. فى جنة .. وأنا أقف عليها خدام .. سفرجى .. شوفير .. تسمحى لى يامدام أكون شوفيرك .. خدامك .. عبدك مش هاين على تروحى للبهيم ده .. الطعامة والقطقطة دى كلها تنام فى حضن شيخ الغفر .. اخص على ذلك !.

والبهيم اللى اخص عليه بالطبع هو سيادتى .. شيخ الغفر .. حارس أبعدية الجمال والفتنة اللى حاتودينى فى داهية .

اتخانقت ودخلت القسم أكثر من مرة واشتبكت فى أكثر من معركة بالذراع بسبب دمى الخامى ..

أعمل إيه .. مش طايق ..

وهى مظلومة معى .. فما ذنبها فى أنها جميلة ؟..

إنها لا تلبس عريان .. ولا تتمخطر فى مشيتها .. وطباعها مهذبة ..

ومسلكها غير ملفت ولا خليع .. ولكن جمالها .. جمالها يصرخ ..

قفلنا علينا البيت .. وأضربنا عن الخروج .. فبدأ التليفون يدق ..

آلو .. مين حضرتك .. لا أحد .. رد يابنى آدم .. البنى آدم اتخرس ومع ذلك فالسماعة مرفوعة على الطرف الآخر والسكة مفتوحة ..

فى نص الليل يدق التليفون .. فإذا رفعت زوجتى السماعة رنت طرقعة بوسة .. ثم اتقفلت السكة .. وأحيانًا تظل السكة مفتوحة .. ويدير صاحبنا تسجيلات لأغنية شادية الأخيرة .. اكمنه ياناس واحشنى .. وخصامه كمان حايشنى .. كلمته سمعت صوته .. وقفلت السكة تانى ..

وأحيانًا يكون صاحبنا مؤدبًا فيكتفى بأن يتأوه على الخط ..

صندوق البوسطة .. لا أفتحه مرة إلا وأجد فيه خطابًا للست .. كله أحلام وهيام وغرام .. والإمضاء .. معجب من الجيران ..

وأبدأ فى مراقبة الجيران فى جنون ..

من هو المجرم ابن الحرام .. ؟

أول شىء أقرؤه فى الصحف أخبار جهاز ضبط المعاكسات التليفونية .. ماذا تم فيه .. وكم مبلغ إيجاره .. وماهى أطول مدة لإيجاره ؟..

وفى الحق أنى كنت فى حاجة إلى مليون جهاز .. جهاز لضبط المعاكسات التليفونية .. وجهاز لضبط المعاكسات البريدية .. وجهاز لضبط النظرات .. وجهاز لكشف نوايا القلوب .. وأخيرًا جهاز لضبط أعصابى وضبط غضبى حتى لا أنفجر .. وأطق . وأموت ..

ألا يوجد عمل للناس فى الدنيا إلا زوجتى ..

وكرهت الجمال .. وقرفت من الجمال .. وطهقت من الجمال الذى كلفنى دم قلبى ..

وطلقت الجمال .. واسترحت ..

ومرت سنة .. ونسيت ماحدث لى من تحت رأس الزواج .. وعدت أفكر فى تكملة نصف دينى .. وهذه المرة كانت نيتى أن أبحث عن زوجة وحشة مثل غراب البين حتى لا ينظر إليها أحد .. وحتى أستريح من المعاكسات والمطاردات وأنام ملء جفونى ..

واخترتها .. نقاوة .. ليس فيها عضو من أعضائها سليمًا .. شعرها أكرت .. وجهها فيه نمش .. عيناها بهما حول .. قصيرة لا تصل إلى كتفى .. سمينة مدكوكة كالبرميل .. لا تعرف لها رقبة من وسط من كتف من رجلين ..

امرأة فيها كل العيب ..

واعتبرت نفسى رجلا محظوظًا بكل هذه الوحاشة لأنى سوف أستريح من نظرات الناس .. وسوف أنام لا يدق إلى جوارى تليفون .. ولا تنزل على تلاقيح الغزل .. ولا تطاردنى طوابير العربات حتى الباب ..

واندبوا معى حظى التعس .. فهذا ماحدث بالفعل .. لم يفكر أحد فى أن يعاكس زوجتى .. ولم يفكر أحد فى أن يدق لها تليفونًا .. ولم يفكر مجنون فى أن يطاردنا بعربته .. ولم يفكر مخلوق فى أن يلقى لها بنظرة إعجاب .. ولم يبصبص لها كلب بذنبه .. وكانت النتيجة . أنها جنت .. أصبحت تقف أمام المرآة ثلاث ساعات لتضع شكارة جبس على وجهها .. وتشد جسمها المدكوك بكورسيه .. وتلبس سوتيان صفيح يلقى بنهديها مترين إلى الأمام .. وتلبس حذاء كعبه عشرة سنتيمترات يرفع بها إلى فوق .. وتمشى تتمخطر .. وتتقصع فى دلع .. منفر ..

مقزز .. وتنظر فى تبذل .. تستجدى الالتفات والغزل من كل من هب ودب من طلبة الست عشرة ستة الساقطين فى ثانوى إلى العجائز من أرباب المعاشات مدمنى الكحة ..

وأصبحت التعليقات التى تترامى حول أذنى من ماركة .. أعوذ بالله شايف الولية .. يانهار أزرق .. أوعى تقرب منها .. دى بتعض .. دى تلاقيها ست بيت على كيفك تنضف البيت أحسن من ال د . د . ت . ده تلاق جوزها حاططها فى البيت عشان تأكل الصراصير ودى حاتموت إزاى دى ياخويا .. ده عزرائيل يخاف منها .. يانهار أزرق ..

ولم يعد التليفون يدق بالمعاكسات .. وإنما هى التى أصبحت تدقه وتعاكس وتقفل السكة .. وتتأوه .. وتدير أسطوانات شادية .. وتستجدى مكالمة فقه . آلو فقه ..

وأنا أتشنج من الغيظ . وأخبط رأسى فى الحائط ..

ألبس لى حق فى أكون عدو النساء رقم واحد .. عدو كل حلوة .. وكل وحشة ..

• • •

لك حق والله العظيم ..

٤٠

المثقفة

أنا فتاة فى التاسعة عشرة من عمرى جميلة حاصلة على شهادة الفلسفة من مدرسة فرنسية للراهبات .. غنية .. ومن عائلة غنية .. لى أخت متزوجة .. وأخ أعزب .. بدأ الخطاب يتقدمون إلىَّ وأنا مازلت فى الثالثة عشرة من عمرى ، وبالطبع رفض والدى . وكنت أحزن أحيانًا لأنه بذلك يمنعنى من تحقيق أحلامى الصغيرة فى الزواج .. فستان أبيض . ملابس .. خروج .. نزهات .. بيت أحكم فيه بأمرى ومشيئتى ..

حدث فى هذه السن أن وجدت كل زميلاتى يتكلمن عن الحب .. والـ « بوى فرند » والقبلات والرقص فأخذت أستمع إليهن مشدوهة خائفة .. كيف يخرجن مع شبان .. ألا يخفن على سمعتهن ..

ولكن كثرة الكلام فى هذا الموضوع جعلته فى النهاية يبدو أمرًا عاديًا ولماذا لا يكون لى « بوى فرند » مثل باقى البنات .. وهل أنا وحشة .. وكان هناك ضابط يسكن بجوارنا أخذ يطاردنى .. واستمر شهورًا بعد شهور يطاردنى بكل الطرق الممكنة .. كان يحوم حولى فى كل مكان .. ويعاكسنى فى التليفون . ويبكى إذا قفلت فى وجهه السكة .. ولا أطيل عليك .. قلت فى نفسى : أجرب .. ولن أفعل مثل صديقاتى .. لن أخرج معه .. إذا كان يريدنى حقًا فعليه أن يتقدم إلى والدى .. فالحب فى نظرى لا معنى له بدون زواج ..

وقبل أن نتخذ أى خطوة .. فكرت أولا أن أصارح أخى بإعجابى بهذا الشاب ..

وأطلعت أخى على كل شىء . وفرح أخى .. واقترح قبل الخطوبة أن نلتقى نحن الثلاثة عدة مرات لكى نتعارف .. ونختلط بدون كلفة وبدون رسميات الخطوبة حتى يعرف بعضنا بعضًا بما يكفى .. فإن انسجمنا كان بها .. وإن لم يكن .. قطعنا علاقتنا فى هدوء وبلا ضجة ..

وهكذا خرجنا .. وتكرر خروجنا .. مرة .. ومرات .. لمدة سنة كاملة .. وكان لقاؤنا دائمًا بتدبير أخى وفى وجوده .. وهكذا أتاح لى أخى فرصة نادرة لا تتاح لأى فتاة ..

وأعجبت بالشاب وأحببته وأصبحت أنا التى أطلب من أخى أن نخرج ونخرج ونخرج .. وازداد شوقى وحبى .. وألح حبيبى فى الإسراع بإتمام الخطبة .. وتقدم بالفعل ليطلب يدى ووافق أبى ورحبت أمى .. وباركته العائلة .. وفرحت .. وأصبحت أسعد إنسانة فى الوجود .. وفجأة حدث أن وقع الاختيار على خطيبى للسفر فى بعثة سنة إلى أوربا .. وطلب الإسراع بإتمام الزواج ليصحبنى معه .. ولكنى آثرت الانتظار هذه السنة لأكمل تعليمى أنا الأخرى ..

وهكذا سافر .. وكنت فى وداعه على المطار .. وتواعدنا على أن نكتب لبعض كل يوم ..

وقد بدأنا نكتب بحماس فعلا خطاباتنا من يوم لآخر – ثم بدأت أنا أهمل الرد .. ولا أدرى ماذا حدث لى بالضبط – ولكن وجدت نفسى أتجاهله .. وشعرت بحبى يبرد ويفتر – وبينما كانت خطاباته تنهال علىّ تسأل .. وتسأل ..

كنت أنا ... ولا هنا .

ولا تتعجب .. فأنا ذاتى متعجبة من نفسى أكثر منك ..

لا .. لا يوجد هناك رجل آخر .. ولم أنشغل بأى علاقة أخرى ..

وحينما رجع لم أفكر فى مقابلته .. ولم أرد عليه حينما طلبنى بالتليفون .. ماذا غيرنى إذن .. سأقول لك الحقيقة .. إنه خوف .. خوف شديد .. رعب من شىء اسمه الزواج ..

أنا أخاف الزواج .. وأرتعد منه .. وكلما سمعت عن صديقه تزوجت أكثرت من زيارتها لأعرف نتيجة الزواج .. فأراها تندم على أيام زمان .. أيام الحب .. والحرية .. والجرى .. لم أر فى حياتى إنسانة سعيدة بزواجها .. أحقى أتعس مخلوقات الله مع زوجها البخيل .. أمى هى المسيطرة على البيت وأبى يخشاها .. صديقاتى يتأففن من أعمال البيت والمسئولية والأولاد والطبيخ .. أغلب الأزواج يخونون زوجاتهم والزوجات يجاوبن بالمثل .. واسألنى أنا فقد رأيت كثيرًا منهن يحاولن محاولات مستميتة مع أخى ..

إنى أكرهه .. أكرهه ..

ماذا أفعل

هل سيكون معنى هذا أن أعيش طول عمرى بلا زواج ..

وهل هذا ممكن .. أم أن هناك حلا ؟!..

• • •

الشطة حراقة ولكننا نأكلها ونحبها .. والحياة شاقة وصعبة ولكننا نتمسك بها ..

لا يوجد واحد لم يلعن الحياة .. ولكننا مع هذا نعشق الحياة ونتعلق بها

ونستميت فى التعلق بها ..

لا تصدق ما يقوله المتزوجون .. إن كل شكاوى المتزوجين كذب ، والمتزوج هو أول من يتزوج مرة ثانية إذا ماتت زوجته ..

والخيانة الزوجية نادرة .. وإذا كانت تبدو لك مألوفة ومنتشرة .. فذلك لأن الروائح الكريهة من صفاتها أن تفوح وتنتشر ويكثر حولها الكلام .. أما الزواج الناجح والعلاقات السوية .. والبيوت الشريفة فلا يسمع عنها أحد ولا يتكلم عليها أحد .. ولهذا يخيل لك أنه لا يوجد فى الدنيا شرف ..

والإنسان من طبيعته الشكوى وعدم الرضا بالواقع .. ولهذا فإن المتزوجة التى اشتكت من زواجها . لو أنك قابلتها وهى بنت لاشتكت لك من وحدتها وتعاستها ومن أنها لم تجد ابن الحلال الذى ترتاح إليه وتتزوجه .

ومشكلتك الحقيقية .. أن عندك عقد المثقفات المترفات . القلق .. والدلع .. والملل . والضجر من كل شىء بسرعة ..

وأحسن علاج لك هو معاملتك بقسوة .. لو أن خطيبك هجرك .. ولم يسأل فيك . وكان أقوى منك فى شخصيته وإرادته .. لجريت خلفه تتمسحين به كالقطة .

٤١

اشرب

أنا واقع فى مشاكل لا أول لها ولا آخر .. وكلها بسبب تفكيرى فى الزواج .. ولأبدأ من أول القصة ..

أنا موظف مرتبى محدود أساعد به أبى وأمى وأخى العاطل فى معيشتهم .. صارحت أبى برغبتى فى الزواج فتطوع مشكورًا هو وأمى فى البحث عن عروسة .

وبعد شهور من البحث جاء لى بفتاة قال لى إنها ستكون رفيقة العمر التى ليس قبلها ولا بعدها .

ونزولا على رأى والدى واختياره خطبت الفتاة وشبكتها .. وبعد شهر من الخطبة بدأت الخلافات تدب .. فوالدى يشترط على الفتاة أن تعيش معنا فى عيشة واحدة .. فى الغرفتين اللتين تسكنها العائلة ..

تنام نحن فى غرفة .. وتنام بقية العائلة فى الغرفة الثانية .. ولم تقبل الفتاة .. وردت الشبكة ومقدم الصداق .. واعتبرت أنها نجت بنفسها من مصيبة .

وكعادة والدى .. أشاح بذراعه بلا مبالاة .. وقال لى .. ولا يهمك النسوان على قفا من يشيل ..

وهب يبحث وينقب .. ويسأل ويستقصى .. ثم عاد ومعه عجوز غنية وارثة وشكلها على قد الحال . وقال لى . هى دى اللى حاتريحك .. وحاتريشك .. ولية كبيرة ومجربة وتعرف مزاجك .. وحاتفرح بيك .. شاب صغير وأفندى موظف تملأ عليها البيت .. وربنا يتوب عليك م الفقر اللى انت

فيه .. يالله ياشيخ اتكل على الله . يعنى حاتاخد إيه م الصغيرة .. ماهو كلهم فى الضلمة زى بعض ..

وهذه المرة خطبت وشبكت وكتبت الكتاب فى نفس اليوم .. واعتبرت أن الأمر غنيمة يحسن التعجيل بها على حد قول السيد الوالد وبدأت المشكلة ..

والمشكلة هذه المرة أثارها الناس ..

الناس اتخذوا من زواجى موضوعًا للتريقة . ومادة للتلقيح كلما شاهدونى فى طريق أتأبط ذراع الست ..

حلاوتك يابو طقم سنان ..

سلامتك م الكحة ..

نجيب لك لزقة ..

ياشيخ روح هات لها كفن ..

يارب خليكى ياجدتى ..

والنتيجة طبعًا أنى بدأت أعانى من حالة عصبية ظلت تتفاقم يومًا بعد يوم حتى وجدت نفسى فى أحد الأيام أرسل لها ورقة الطلاق غيابيًا .

وبالطبع كانت صدمة للزوجة تلقتها فى ذهول .. لم تصدق أن هذا الرجل الجربان الذى تنفق عليه يمكن أن يتجرأ ويطلقها . هى بنت الناس وصاحبة الجاه .. واشتكتنى فى المحكمة ..

وثار والدى وتبرأ منى . واعتبرنى نذلا ..

وكانت خصومة استمرت شهورًا ..

واختفيت مدة .. وكنت أتلقى إعلانات الحضور للمحكمة فى خوف وخجل وإحساس بالذنب .. وكنت أقتطع من مرتبى الصغير لأدفع للمحامى ووكيل

المحامى .. ووقعت فى أزمة ..

وكالعادة انتهت المشكلة وتصالحت مع أبى لتبدأ القصة من جديد . فقد راح أبى يبحث لى عن زوجة ثالثة ..

وكانت الزوجة الثالثة طيبة جدًا . لم تشترط مهرًا ولا شبكة ولم تسأل أين ستذهب بها ..

وعرفت بعد الزواج .. أنه لم يكن هناك ما يدعو لأن تسأل وتشترط وتطلب .. فهى من عائلة فقيرة دقة .. تسكن فى حارة سد فى غرفة واحدة .. يبقى حا تسأل على إيه ؟!..

وهى بالطبع قانعة ..

ولكنى غير قانع .. وتعبان .. ولا أفهم كيف تزوجت .. وكيف طاوعت أبى كظله فى هذه الزيجات الثلاث .. وكيف لم يكن لى رأى ..

الشعور بالذنب يطاردنى باستمرار .. وشعور آخر بأنى لا أستطيع المضى فى هذا الزواج .. ولا أستطيع التمثيل على نفسى للنهاية .

أريدك أن تجد لى مخرجا ، علمًا بأنى لا أستطيع العودة إلى الزوجة الثانية .. ولا الأولى .. ولا أستطيع أن أمضى فى هذه الورطات إلى مالا نهاية ..

• • •

لا أفهم ماذا تقصد بهذه الورطات ..

فأنت على حد قولك موظف دخلك محدود تنفق منه على أب وأم وأخ عاطل ، وتعيش معهم فى غرفتين ، فأنت إذن من البداية لا تستطيع أن تفتح بيتًا .. وليست لديك مؤهلات الزوج ..

وإذا كانت هناك ورطة فهى ورطة الذين قبلوك وارتضوك على علاتك .

وأنت فى كل مرة تبرر خطأك بطاعة السيد الوالد أو تريقة الناس ..

والحقيقة أن طمعك وليس والدك هو الذى ورطك فى الزواج بالغنية ، ولكنك تتمحك بالوالد وهى مماحكة لا تعفيك من المسئولية فأنت لست طفلا ولا قاصرًا .. ولا فتاة عذراء . ولا عذر لك فى أن تقول .. وأنا مالى أبويا قال لى اعمل كده ..

متأسف .. ليس لك مخرج عندى ..

من العدل أن تظل موحولا فى أعمالك ..

٤٢

خبير بالنساء

أنا شاب ، سنى ٢٠ سنة موظف ولى إيراد غير وظيفتى من أملاك قليلة تدر على إيرادًا آخر إضافيًا لا بأس به .. أعيش حياة ميسورة ولى عربة ومشترك فى ناد رياضى ...

أزاول الرياضة العنيفة ... وأندمج فى عدة لعبات .... والواقع انى فى نفسى أعانى إحساسًا شديدًا بالوحدة .. والخجل .. والتردد ....

اشتركت فى النادى وهويت الألعاب ... لأبعد عن نفسى هذا الإحساس ولأندمج فى الناس وأخرج من وحدتى ... وأكون علاقات ....

ولكن مع ذلك أشعر أنى مازلت متحفظًا منطويا بالرغم من كثرة أصدقائى ... وبالرغم من طول الوقت الذى أقضيه فى حياة اجتماعية ... تعرفت على فتاة منذ سنوات .. وكانت فى تلك الأثناء مخطوبة ...

وأذكر فى ذلك الوقت أنها هى التى شجعتنى على الكلام معها ... وكانت حينما تلاحظ خجلى ... تقول إن الفتاة من حقها أن يكون لها صديق ... وكل رجل من حقه أن تكون له صديقة .... وإن الصداقة علاقة رفيعة ... وإن صداقة المرأة لرجل لا يمكن أن تكون فيها خيانة لزوجها ، لأن الصداقة شىء آخر غير الحب .. وأنها مثلا تحب خطيبها ومع هذا تشعر بشعور الأخوة والصداقة نحوى ... ولا تجد فى هذا الشعور مايشينها .

والحق ... لقد أعجبتنى عقليتها جدًا ... وكنت أرى فيها مثال الفتاة

العصرية النموذجية ...

وبحكم اشتراكها فى النادى معنا – فقد كنت ألتقى بها كل يوم ... حيث نلعب معًا التنس ... والبنج بنج ... ونشرب الشاى ونأكل الساندويتشات ... ونثرثر فى مواضيع لا نهاية لها ...

ولم أشك يومًا فى طبيعة إحساسى نحوها ... فقد كنت أكن لها الصداقة والأخوة والود والعاطفة الرفيعة المنزهة من أى غرض ...

وحدث بعد هذا أن تزوجت ... وكان زوجها موظفًا فى إحدى البلاد العربية ... وكان يتغيب معظم وقته عن القاهرة بحكم عمله ... فاستمرت علاقتنا بعد الزواج كما هى ....

وظلت على مواظبتها فى الحضور كل يوم للنادى ... واستمرت صداقتنا ...

وكان يحدث أحيانًا أن نذهب إلى سينما ... حيث نقضى الوقت نتناقش فى الفيلم ونعلق على مانراه .

ولم يكن يتطرق إلى ذهنى فى أى مناسبة أن أغازلها أو أظهرلها الحب ، فقد كانت مشاعرنا فوق مستوى الشبهات ...

ولهذا سرنى كثيرًا فى إحدى المرات أن رأيتها تطلب منى خمسين جنيهًا سلفة ... فقد شعرت أنها تعتبرنى بالفعل صديقًا تثق فيه وتحترمه وتلجأ إليه وقت الشدة ...

وحينما اقترحت بعد هذا أن تقسط لى المبلغ على أقساط رفضت أن أتحدث فى الموضوع ... واعتبرت أن المسألة منتهية ... وأن ما تحتاج إليه لها أن تأخذه من جيبى بدون حساب وكأنى أخوها ... أوكأنى نفسها ...

وقلت لها إن هذا سوف يدخل على قلبى السرور .. ويشعرنى باحترامى

لنفسى ويثقتى بعلاقتنا .. والواقع أنها لم تتردد بعد هذا فى أن تطلب منى دفعات أخرى من خمسين .. وخمسين ... وعشرين جنيهًا أخيرًا ... وكنت أبادر بالدفع بسرور وسعادة .

والحق أنا لا أكذب عليك ، أنا كنت أشعر بسرور بالفعل وأنا أرى علاقتنا تتوطد .. وأرى أنها تكاشفنى باحتياجها للمال من وقت لآخر .. وأنى أنا .. وأنا بالذات أكون الصديق الذى يسارع إلى مساعدتها ..

هل هذا حب ؟!

لك أن تسميه كما تشاء .. ولكنى متأكد أن مشاعرى لها لم تتلوث لحظة واحدة .. وظلت حتى هذه اللحظة أبادلها المشاعر الرفيعة .. والصداقة الروحية التى لا يدنسها دنس ..

ولا أنكر أنى أصبحت الآن فى حاجة إليها أكثر مما هى فى حاجة إلى .. ولهذا أصبحت أشعر بسرور خفى كلما ارتبطت بى برباط الحاجة المادية .. وأشعر أنها أصبحت ملكى أكثر وأكثر . وهو شعور خبيث .. يخجلنى أن أشعر به .. ولكنها الطبيعة الإنسانية .. والطبيعة الإنسانية كما تعلم لا تخلو من الشرور ..

أصدقائى يقولون لى .. إنها تستغلنى .. وإنى رجل خيالى .. ولكنى أعتقد أنى رجل خبير بالطبيعة الإنسانية .. ولو أنها كانت امرأة من إياهم لتهورت فى علاقتها معى لتستغلنى أكثر .. ولتضمن احتياجى لها أكثر وأكثر .. ولكنها طوال علاقتنا كانت مثالا للشرف والعفة والأخلاق الكريمة .. وهذا ينفى فى نظرى أى شبهة للاستغلال .. فى حدود فهمى للطبيعة الإنسانية على الأقل والا إيه .. ما رأيك أنت ؟..

° ° °

الحقيقة أن فهمك للطبيعة الإنسانية .. هو اللى ضيعك ...

ولو أنك فكرت شوية فى الموضوع .. وفى الطبيعة الإنسانية اللى مغلباك .. كنت وجدت أن صورتها التى تظهر بها أمامك .. وهى صورة المرأة العفيفة الشريفة النظيفة المحترمة التى لا تشعر إلا بالمشاعر الرفيعة والخلجات الروحية الطاهرة .. الصورة دى هى الصورة الأقرب إلى الاستغلال .. لأنها الصورة التى رفعت سعرها فى نظرك .. وجعلت المبالغ التى تطلبها خمسين جنيهًا فما فوق .. أما تهورها .. فإنه لم يكن ليرفع سعرها بل على العكس يخفضه إلى شلن ..

والدليل الآخر انها امرأة متزوجة اختارت للزواج رجلا يعمل فى وظيفة بالبلاد العربية ويتغيب أغلب الوقت عن القاهرة .. وظائف البلاد العربية كما هو معروف وظائف مجزية .. ومرتباتها لا تقل عن ألف جنيه فى الشهر ..

ومعنى ذلك أن اختيارها للزوج كان اختيارًا مبنيًا على نفس العقلية المادية .. ومع ذلك فهى تبتز منك مائة وسبعين جنيهًا فى شهور .. ليه !!

خلجات روحية .. ومشاعر رفيعة برده ..

فى الواقع أنا مش شايف روحية فى الموضوع ..

وخصوصًا أن الصديق الذى اختارته خلجاتها الروحية .. وهو مبادتك .. صديق مليان ماديًا .. وعلى نياته .. والا إيه .. والا حاترجع تانى لحكايتك بالطبيعة الإنسانية .. على كيفك ..

٤٣

عذراء اسمها محمد

أنا وحيد والدى ووالدتى .. عائلتى غنية .. وكل ما أطلبه أحصل عليه فى الحال .. وبالرغم من هذا يعذبنى الإحساس بالمسئولية .. وأشعر بالذنب حينما أرسب .. وأبكى كثيرًا ..

وأنا أتلقى دروسى فى مدرسة إعدادية خاصة .. وقد رسبت فى السنة الماضية .. وبكيت كثيرًا وأفضيت لأبى برغبتى فى ترك المدرسة والاشتغال بأى شغلة .. ولكنه رفض .. وقال وهو يضحك .. ولا يهمك .. اسقط على كيفك .. أوع تزعل نفسك .. خد فلوس زى ما انت عايز .. احنا فلوسنا كتير والحمد لله .. نشتغل ليه .. ونتعب نفسنا ليه ..

وذات يوم سافر والدى إلى بلدنا بالواحات للزيارة ، وحينما حضر فاجأنى برغبته فى أن أترك الدراسة .. ليه يابابا .. ده السنة فى آخرها والامتحان قرب ..

ولكنه رفض وقال لى أنت مخطوب من الآن وستتزوج بعد العيد مباشرة ..

وكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على نفسى فأنا لم أتجاوز الخامسة عشرة بشهور قليلة وطولى ١٥٠ سنتيمترًا ..

وتعجبت .. وانعقد لسانى من الدهشة .. وأخذت عيناى تتوسلان لأبى بالدموع .. وأخذت أبكى وأرجوه أن يقلع عن فكرة زواجى .. ففى هذا قضاء على مستقبلى .. ورحت أستعطفه وأستقدم الوسطاء ليستعطفوه .. لكنه ظل يرفض بشدة .. ويقول .. يابنى أنا عاوز أفرح بيك .. وأشوفك متجوز ومخلف

قدامى .. وعيالك يلعبوا حواليه ..

قلت له كيف أعول زوجة وأنا غير قادر على إعالة نفسى .. فقال وهو يضحك :

عيب يابنى تقول كده .. أمال أنا فين .. إنت مالكش دعوة .. اطلب الفلوس اللى انتعايزها .. أنت وزوجتك وعيالك ملزومين منى أنا .. فيه حد يلاقى الراحة ويدور على التعب .. خيرنا كتير يابنى والحمد لله .. إيه لازمة الشقا ..

وفشلت كل محاولاتى فى منع الزواج .. وهو مصر على إتمامه قبل العيد .. ماذا أفعل ؟..

* * *

من الواضح أنا أباك يعاملك كالبنت العذراء القليلة الحيلة .. مش مهم تسقط أو تنجح مادام آخرتها البيت .. ومش مهم تشتغل مادام - ربنا يطول عمره - بيديها المصروف ..ومايصحش تقول لا .. ساعة مايجيها ابن الحلال .. عيب .. بابا عاوز يفرح بيها .. ويشوف ولادها وولاد ولادها ييجروا حواليه ويملوا عليه البيت ..

والمشكلة ليست فقط مشكلة دلع .. ولكنها مشكلة إهدار كرامة رجل تمامًا .. وإهدار حقه فى أن ينضج ويفلح وينجح ويستقل بحياته .. وإهدار حقه فى أن يحب ويختار شريكة حياته .. ويعيش الحياة كما يحب أن يعيشها ..

إن أباك يريد أن يعيش حياته ويعيش لك حياتك أيضًا..

إنه حريص على أن يفرح بك أكثر من حرصه على أن تفرح أنت بنفسك .. وهذه أنانية فظيعة وليست حنانًا .. إنه يريد أن يحرمك من إحساسك

بذاتيتك .. فى سبيل إحساسه هو بذاتيته وبأنه رجل غنى قادر على فتح بيوت وبيوت ..

تمسك بموقفك بدون دموع وبدون توسلات .. لتكن دماغك ناشفة كالحجر .. وعزيمتك ماضية كالحديد .. فأنت رجل ..

عش حياتك كما تريد أنت أن تعيشها .. فأنت لا تملك إلا حياة واحدة .. وإذا أعطيت هذه الحياة لوالدك فلن يبق لك شىء ..

٤٤

حب غريب

أنا أدخل اليوم فى عامى الثامن والعشرين ..

منذ عشر سنوات وأنا أتعذب بحب صامت أحترق فيه وأذوب وحدى دون أن يعلم بى حبيبى ..

وحبيبى فى الستين .. لا تدهش ولا تمصمص شفتيك فى سخرية .. ولا تقل عنى مراهقة .. أو خيالية .. فهذا الحب هو الحقيقة الوحيدة فى حياتى . الحقيقة التى تملؤنى وتصهرنى معها ..

هذا الرجل فى الستين .. الذى تنظر إليه على أنه عجوز فى خريف أيامه ..

هذا الرجل كان دائمًا ربيع أيامى .. كان شبابى .. وكان قلبى لا ينبض إلا له ..

وقد نشأنا فى جيرة واحدة .. وكان صديقًا لعائلتنا .. وقد تزوج وأنا فى السابعة عشرة وكنت أنظر إلى زوجته بحسد .. وكنت أعيش على خياله وأنام على خياله .. وكنت أتمنى لو ماتت زوجته ليصبح لى من جديد كما كان دائمًا ..

وقد ماتت زوجته فعلا ومات معها طفلها الوحيد .. وعاد حبيبى يعيش منفردًا فى بيته الكبير .. يطوى ضلوعه فى حزن دائم .. وتبلل عينيه دموع حائرة تأبى أن تنزل ..

وفهمت أنه يعيش فى ذكرى حب واحد هو حبه لزوجته .. وأنه يحفظ لها إخلاصًا لا يموت ..

وكتمت حبى فى نفسى .. وحاولت أن أنساه .. ولكنه كان يشتعل ويتأجج

فى قلبى كلما رأيته بعينى الواسعتين الحزينتين ..

وكان من عادته أن يتجول فى الحديقة فى الصباح ومعه كلاب الصيد التى يقتنيها .. وهو لا يهوى فى الدنيا إلا أربعة أشياء .. كلاب صيده والكمان الذى يداعب أوتاره فى أوقات فراغه .. وصور زوجته ، ومهنة الهندسة التى يزاولها ..

أما أنا فلا مكان لى فى حياته .. إنه لا يشعر بوجودى .. لا يرى أنوثتى الفاضحة ، ولا يحس بجمالى ، ولا يدرك عاطفتى المتأججة نحوه .. وأنا فى اليأس الذى أعيش فيه وأمام حبه المتفانى لزوجته الراحلة لا أجد الجرأة على مصارحته ..

تقدم للزواج بى كثيرون وأتيحت لى فرص للزواج لا تتاح لفتاة فى دمشق رفضتها جميعًا .. لأنى لا أريد أحدًا سواه .. أنا زوجته أمام الله وأمام قلبى .. وسأطوى ضلوعى على سرى وأعيش وأموت له ..

لعلك تقول .. لابد أنها فتيحة لا أمل لها فى أن يحبها أحد ولهذا خلقت لنفسها هذا الوهم لتعيش فيه ..

ولكن الحقيقة المؤسفة .. أنى جميلة . ومثقفة .. وأحمل دبلومًا عاليًا فى اللغة الفرنسية .. وأجيد العزف على البيانو .. ومعشوقة من الجميع .. وعائلتنا ذات مركز مرموق .. وأعيش فى مجتمع ينظر إلىَّ فى حب واحترام .. ولكننى لا أشعر بهذا المجتمع .. لا أشعر إلا بشىء واحد هو حبيبى .. بيننا فارق فى العمر يبلغ ٣٢ سنة ، ولكنى لا أشعر بهذا الفارق ..

إنه شبابى .. وطفولتى .. وحياتى ..

ماذا أفعل ؟.. أنا أتعذب ..

• • •

هذه عاطفة غريبة .. لو كانت سنك ١٦ سنة لقلت هذه هى المراهقة بعينها .. ولكن سنك ٢٨ سنة ، ولك خبرة واختلاط بالرجال .. ومثقفة وحساسة .. وفنانة .. وجميلة ..

لا شك أن الرجل فيه جاذبية .. فهو وحيد يعيش مغتربًا فى بيته مع كلاب صيده ومع آلة الكمان التى يبثها أشجانه ، ومع صور زوجته .. فهو إذن عاطفى حنون رقيق فنان موسيقى القلب مثلك ..

إن بينكما شيئًا يجمعكما ..

ولكن ٣٢ سنة تفرقكما ، وهى كفيلة بأن تسحق أى عاطفة .. وإذا كانت عواطفك لم تسحق إلى الآن فالسبب أنك تشغلينها بخيالك على الدوام .. أشك فى أن هذه عاطفة امرأة لرجل .. ربما كانت صورة من صور عشقك لأبيك ، وهو عشق يظل مكبوتًا بحكم كونه محرمًا حتى يجد علاقة مشروعة كهذه العلاقة فيظهر فيها ..

ربما كان حبًا ...

إن الامتحان الوحيد لأمثال هذه العواطف هو الواقع ..

إن زوجًا فى سن الستين لا يستطع أن يقوم بوظائف الزوج فى أغلب الأحوال .. وهو لن يكون أكثر من صديق .. هل تكفيك هذه الصداقة وأنت كما تقولين ذات أنوثة فاضحة ..

هل ترتوى الأنوثة الفاضحة بلمسة حب أفلاطونى ..

أشك فى هذا .. والزمان بيننا .. صارحيه وتزوجيه ..

يشوقنى جدًا أن أعرف مصير مثل هذا الحب فى الواقع .. إنك على الأقل ستفهمين نفسك .. وهو لن يخسر شيئًا .. وأنا سأزداد خبرة ..

٤٥

معبود الأرامل

أنا شاب فى الخامسة والعشرين من عمرى ربيت فى بيت كله قسوة وشقاء . فأنا لم أر أمى ، بل زوجة أبى فى أبشع صورها .. وكنت أبدأ يومى بعلقة تنتهى بتمزيق ملابسى وحرق كتبى وأختم يومى بكنس المنزل ومسح السلم .. وأنام على الضرب والشتم وأصحو على السباب والإهانة ..

لن أطيل عليك .. انتهت حياتى التعليمية ولم أستطع الحصول على الثانوية العامة .. ليس ذلك لكسل أو غباء منى .. فالكل يشهد بذكائى ونبوغى وكنت طيلة حياتى الأولى .. ولكن إذلال زوجة أبى وقسوتها كسرا شوكتى وحطما عقلى وذكائى ..

وعملت فى إحدى الوظائف المحترمة جدًا بمرتب أكثر من عشرين جنيهًا ..

لعلك تتساءل وماذا تريد إذن .. صبرًا .. فإن تلك الوظيفة لم تكن إلا كالمرهم المسكن .. مفعولها مؤقت .. فقد كانت بعقد ستة أشهر .. وينتهى العقد بانتهاء الستة الأشهر ..

وانتهى العقد وانتهيت أنا أيضًا معه .. لم يعد لى عمل سوى التسكع فى الشوارع والتطلع إلى الفترينات والأكل كل يوم عند صديق .. والمبيت عند صديق آخر ..

وأحيانًا كنت أبيت فى الحدائق .. أو فى محطات سكة الحديد متظاهرًا أنى أنتظر قطار الفجر ..

وأخيرًا قررت الرحيل من القاهرة .. وفى فجر أحد أيام شهر نوفمبر الماضى قررت السفر إلى الإسكندرية .. وبدأت السير من الطريق الصحراوى .

وسرت .. وظللت أسير حتى شعرت بالتعب .. فتوقفت وسط الطريق أشير للعربات لتحملنى معها .. ولكنها كانت تمرق بجوارى دون أن تفكر حتى فى أن تهدئ من سرعتها .. وساعتها كرهت الدنيا ومن عليها وتمنيت لو تدهسنى سيارة فأستريح ..

وكان الليل قد حل .. وكنت قد قطعت أكثر من خمسين كيلومتر ، وحل بى الجوع والعطش والتعب .. فارتميت فى الطريق .. وسلمت أمرى لله .. وفى تلك اللحظة مرت بى عربة فارهة تقودها سيدة .. وتوقفت العربة جوارى .. ونزلت السيدة وحملتنى معها إلى الإسكندرية وأخذتنى إلى بيتها ..

ومكثت راقدًا ثلاثة أيام مريضًا بالحمى .. وفى اليوم الرابع شفيت .. وأحضرت لى السيدة طعامًا وشرابًا .. وبت معها تلك الليلة .. وتكرر هذا فى الليلة التالية والليلة التى بعدها .. وفى اليوم السادس أعطتنى خمسة جنيهات وقالت لى .. تيجى كل يوم خميس .. فكنت أذهب إليها وأمكث عندها الخميس والجمعة وأتركها يوم السبت .. وتعطينى الخمسة جنيهات .. وتكرر هذا أسبوعًا بعد أسبوع إلى أن كان الخميس الماضى .. حينما رفضت أن تعطينى نقودًا .. وقالت لى .. إذا كنت عاوز فلوس لازم تتجوزنى .. وبشرط مؤخر صداق ألفين جنيه .. تصور ألفين جنيه ..

نسيت أن أصف لك هذه السيدة .. إنها فى الخمسين من عمرها .. شكلها مقبول .. وغنية جدًا جدًا .. وشاذة ..

هذه مشكلتى ..

هل أتزوجها وأعيش طرطورًا .. وماذا يكون مصيرى حينما أفاجأ .. وأنا زوجها بوجودها مع رجل آخر ..

وماذا يكون مصيرى إذا تركتها وعدت إلى تشردى وبطالتى .. إنها تنتظرنى .. انصحنى ..

* * *

أنصحك ياأبو لمعة .. أنك تبطل فشر .. وأن تعالج فشلك بأسلوب آخر غير أن تنام على ظهرك وتحلم بأن مليونيرة غنية شاذة فى الخمسين .. هبطت عليك من السماء .. فى عربة فارهة .. وطلبت منك القرب ونقدتك خمسة جنيهات ثمنًا لرجولتك الفذة التى لا مثيل لها ..

وليس أسهل عليك ولا أمتع لعقلك التعبان من وطأة الفشل أن يحلم أنك مهبط الوحى والفتنة للأرامل من صاحبات الملايين .. وليس أسهل عليك من اختلاق المشاكل لتحتال بها على عذابك .. ولكنى لا أجد داعيًا لأن تحتال علينا أيضًا .

أفق لنفسك وحاول أن تستغل ذراعيك .. وهناك ألف مصنع جديد يفتتح فى عرض البلاد وطولها .. فى حاجة إلى شبابك .. ورجولتك .. قوم شوف لك شغلة ..

٤٦
سر السعادة

أنا شاب فى الخامسة والعشرين .. ولا أزال فى الجامعة .. منظرى وشكلى جميل ، وهذا هو السبب فى تعاستى ومصائبى ..

لنا جارة ولديها طفلان .. زوجها كان متزوجًا بأخرى .. وكان بطبيعة الحال يتغيب عنها بين يوم وآخر .. وفى هذه الأيام كانت تحاول أن تتصل بى .. بالحديث على الباب بالمصادفة ثم بالخطابات .. ثم بالمقابلة وتكررت مقابلاتنا ثم بدأنا نتردد على دور السينما .. ثم بدأت تدعونى إلى شقتها .. وتسهل علىَّ الأمور وتهون علىَّ المغامرة ..

وضعفت أمام إغرائها .. وأمام شبابى وحرمانى .. وأصبح لقاؤنا فى شقتها وفى ليالى غياب زوجها عادة ..

ولأعد قليلا إلى الوراء فى سنوات نشأتى .. فقد كنت ملتهب العاطفة متدفق الحيوية .. وقد بدأت صباى بحب وحيد ملك علىَّ كل حواسى .. ولكنى لم أستطع المضى فيه إلى نهايته الطبيعية بالزواج لأنى كنت لا أزال طالبًا . وأمامى مستقبل ..

وهكذا انتهيت إلى حالة من القلق والحرمان واليأس ألقت بى فى أحضان هذه العلاقة السيئة ..

وكان نتيجة هذه العلاقة أزمة من نوع آخر .. هى الشك .. الشك فى كل النساء .. وكل الزوجات ..

فأنا أتصور دائمًا أنى سوف أتزوج ، فتخوننى زوجتى .. وأصبح طرطورًا أدخل البيت أشخط وأنطر وألقى أوامرى باليمين والشمال .. ثم أخرج فترتمى زوجتى فى أحضان رجل آخر ..

وتقول له أحبك .. أعبدك .. أنقذنى من زوجى .. أنا أكرهه .. لا أطيقه .. هذا الزوج الذى سوف يكون أنا بالطبع ..

وكبرت المسألة فى دماغى .. فبدأت أتلفت حولى فى أهلى .. وأنظر إلى أختى فى شك وريبة .. ثم إلى أمى التى يبلغ عمرها خمسين عامًا .. أصبحت أشك فيها هى الأخرى ، وأحاسبها حسابًا عسيرًا على خروجها وغيابها .. وأسألها أين كنت ؟.. ولماذا ذهبت بمفردك ؟.. لازم تفهمى أنى مسئول عن العيلة .. وخناقات لا تنتهى ..

وهكذا تسممت حياتى .. وتسممت أفكارى ..

والآن .. أنا فى عذاب مستمر .. أريد أن أتزوج والشك يقتلنى .. قالت لى صاحبتى مرة .. وهى معى : ماذا تفعل لو كنت زوجى واكتشفت هذه العلاقة ؟.. فقلت لها على الفور أقتلك .. والعجيب فى الأمر أنى أحتقرها وأكرهها .. وأحتقر نفسى لأنى أضعف وأستجيب لإغرائها لمجرد ذلك الشىء الحيوانى الذى فى دمى ..

ماذا أفعل .. كيف أتزوج .. وأتصرف كزوج طبيعى .. وهل هناك أمل فى أنى سوف أكون فى أحد الأيام زوجًا طبيعيًا .. وكيف الخلاص من هذه العقدة ؟..

• • •

لكل شىء فى الدنيا ثمن .. ولكل خطأ عقابه الفورى .. وأفعال الطيبين

لا تذهب عبثًا . إنهم يكافئون عليها مكافأة فورية .. بسعادة القلب واطمئنان البال ..

وأمثال الذين يعيشون فى تلذذ مسروق مختلس من بيوت الناس .. يفقدون راحة بالهم ويأكلهم الشك .

إنها ليست عقدة .. إنها مقابل طبيعى للفعل ..

إنه فعل خال من الاطمئنان فى جوهره وطبيعته .. فعل يسيطر عليه الخوف والقلق .. وهو لهذا يلد الشك وسوء الظن ...

ليست فى المسألة عقدة .

إن الراحة والاطمئنان والسعادة .. لا يمكن أن تنشأ إلا بتحقيق الانسجام بين الإنسان وبين عواطفه وتفكيره .. وأفعاله وظروفه ..

حاول أن تحقق هذا الانسجام فى حياتك بالبحث عن امرأة تحبها .. بقلبك وعقلك وجسمك .. ولا تمارس معها الحب باحتقار ..

٤٧

ملانكوليا

نشأت فى مدينة متوسطة من أبوين عصاميين .. وأنا أصغر أبناء خمسة .. ثلاث شقيقات متزوجات .. وأخ فى الدرجة الثانية فى إحدى الوزارات ..

وأنا فى العشرين من عمرى فى السنة الأولى من دراستى الجامعية .. مشكلتى أن هناك رغبة جنونية تستعبدنى وتذلنى .. رغبة فى تحطيم أى شىء يقع تحت يدى .. أحطم الأكواب مهما بلغ سمكها .. أحطم الأطباق .. والزهريات .. أى قلم أمسك به .. أغرس سنه فى الورقة وأحطمه مهما كان ثمنه .. وأشعر بلذة وأنا أحطمه ..

وحينما أقف فى طابور السينما أو الاتوبيس وأرى أمامى شخصًا .. أشعر برغبة جامحة فى خنقه والانقضاض على رقبته بيدى .. وفعلا ترتفع يداى فى حركة لا شعورية إلى عنقه .. ولا أستطيع الخلاص من هذه الرغبة إلا بتحريك رأسى بشدة فى عدة اتجاهات لأبعد عينى عن المنظر كله .. وأحيانًا أعمد إلى دفعه بيدى لأبعده عنى .. وقد أوقعه على الأرض .. وتحدث هذه الأشياء كثيرًا وأنا مع أصدقائى مما جعلهم يبتعدون عنى .. ويقولون إن هزارى سخيف .. وهم يظنون ما أفعله هزارًا ..

أحب السرعة فى كل شىء .. فى الأكل واللبس والمشى .. أغير أصدقائى بسرعة .. ولا أشعر برابطة وجدانية نحو أحد ..

حاولت كثيرًا أن أعرف سبب حالتى وعدت بذاكرتى إلى الوراء لعلى أجد

سبباً فى طفولتى .. ولكن طفولتى عادية .. اللهم إلا ضخامة هيكل العظمى التى كانت تخيف الأطفال .. وضخامة يدى .. وضخامة كتفى ، وهم فى المدرسة يسمونى الكتف الحديدى ..

وفى العام الماضى حدث أن رفعت مائة كيلو جرام دون علم بوزنها .. وحاول المدرب إغرائى على التدريب .. لكنى لم أحفل به ..

حياتى الجنسية عادية .. فيما عدا إحساس شديد بالكراهية ينتابنى ونفور حاد من المرأة .

ولهذا السبب أرفض الزواج ..

لى صديقة أحبها وأعبدها وتبادلنى الحب والعبادة .. وهى صغيرة وجميلة وغنية .. وأتمنى أن أتزوجها .. ولكنى لا أجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة خوفًا من انقلاب حبى إلى كراهية حينما أعاشرها زوجيًا ..

تنتابنى نوبات فجائية من الانطواء والعزلة والصمت .. فأدخل غرفتى ولا أخرج منها يومين أو أكثر ..

وقد يمضى يوم وليلة لا أتحرك من مكانى حتى تدخل أمى وتنتزعنى بالقوة من الكرسى الذى أجلس عليه متجمدًا كالتمثال .. لكى آكل ..

أين كان عقلى .. وكيف سكت معدتى ولم تصرخ طالبة الطعام ..

إن حالتى تتدهور بسرعة .. وأنا الآن أتجنب ركوب التاكسى خوفًا من أن أنقض على السائق وأخنقه دون أن أدرى

ذهبت إلى أطباء نفسانيين .. وحاولوا علاجى بالجلسات والإيحاء بلا فائدة ..

أرجوك أنقذنى ..

* * *

إن الطب النفسى لا يكفى لعلاجك ..

أنت فى حاجة إلى طبيب أمراض عصبية .. وعلاج منتظم فى مستشفى ..

إن حالتك .. حالة مرضية معروفة اسمها الملانكوليا .. والمريض فى هذه الحالة يعانى من رغبات متسلطة .. ونوبات حادة من الانطواء والسكون والامتناع عن كل شىء حتى عن الأكل ..

وهذه الحالة قابلة للشفاء بشرط المبادرة إلى الذهاب إلى مستشفى مختص ..

٤٨
جنون الغيرة

أنا شاب عمرى ٣٠ سنة متزوج من سنتين .. وزوجتى مدرسة بمدرسة الراهبات .. والشىء الذى لا يعرفه أحد أنى أعيش فى عذاب الغيرة .. طوال السنتين ، وأنا أكتوى بنار الغيرة ..

زوجتى ليست جميلة .. ولا خفيفة الدم .. بل هى عادية جدًّا جدًّا .. وظاهر تصرفاتها يوحى بالثقة .. وسمعتها حسنة .. ليس عندى شىء أمسكه عليها .. ومع ذلك أنا أشك فيها .. الشك ينهشنى .. والغيرة تأكل قلبى ..

إذا ركبنا « أتوبيس » أقف بجوارها وأحملق فى كل شاب فى ريبة ، وإذا رأيتها تنظر حولها هنا أو هناك أغتاظ ويغلى الدم فى رأسى وأشعل سيجارة وأروح أنفخ فيها .. ولا أجرؤ أن أجاهرها بشكوكى .. وإذا حضرت من عملى ووجدتها واقفة فى البلكون أغتاظ .. وإذا رأيتها تلبس فستان ديكولتيه مفتوح شوية أصاب بالجنون .. ولكنى أكتم جنونى وغيظى ولا أصارحها حتى لا تقول لى : متأخر ورجعى .. ولكنى ألاحظ أنها تأخذ بالها ..

وإذا حضر زوار لإخوتها فى البيت ، وأخذوا يروحون ويجيئون شعرت بالضيق مع أننا وحدنا فى غرفة بعيدة ..

وإذا وجدتها سرحانة ومش واخدة بالها .. وكلمتها فنظرت إلى فى شرود .. أغضب فى نفسى .. وأنام بلا عشاء ..

وإذا ذهبنا إلى مكان ما للسهرة .. وكان حولنا شبان أظل أتململ طول

الوقت .. ولا يعاودنى هدوئى إلا إذا رجعنا إلى البيت ..

وإذا ضحكت فى الطريق أتلفت حولى لأبحث عن الرجل الذى ضحكت له .. وإذا عبست تنتابنى الوساوس والظنون .. ويظل عقلى يختلق الظنون المتعبة ..

وهى الآن حامل .. ولكنى أشك أحيانًا فى الجنين الذى تحمله .. أشك فى أنه قد يكون من رجل آخر غيرى ..

أنا أعيش فى عذاب .

ولكن ماذا أفعل ؟.. وأنا أحبها .. أعبدها ..

° ° °

أنت لا تحبها .. أنت تحب نفسك .

أنت تحتقر زوجتك وتعاملها كما لو كانت من ممتلكاتك .. كما لو كانت تابعًا بلا حرية ولا بلا إرادة .. لا حق لها فى أن تنظر إلى اليمين أو إلى اليسار .. أو تضحك .. أو تعبس .. وأنت لا تكتفى بامتلاك جسمها وإنما تريد امتلاك روحها ..

وسبب جنونك هو شعورك بالنقص وبأنك غير كفء وغير قادر على الاحتفاظ بها .. وأنه لا وسيلة للاحتفاظ إلا بالعنف والتحكم والضغط واللجوء إلى الحق الشرعى .. ومواجهتها بصكوك الملكية .. ولكنك لا تجد حتى الشجاعة فى هذا .. ولهذا تجن .. وتكتوى بالنار وتغتاظ .. وتكتم فى نفسك ..

وحينما تراها تضحك فى الطريق .. تتلفت حولك لتبحث عن الرجل الذى ضحكت له ، لأنك لا تتوقع ولا تنتظر أن يكون هذا الرجل هو أنت .. أنت فى نظر نفسك تافه .. لا تستحق أن تحبك حتى زوجتك ..

إن العقدة فى نفسك ... وإذا لم تتغلب على هذا الشعور بالنقص فإن زواجك سيفشل ..

إن زوجتك لن تحترمك لأنك لا تحترم نفسك .. ولن تعرف كيف تحبك .. لأنك لا تعرف كيف تحب نفسك ..

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٤٩

الحقيقة الخفية

أنا زوجة .. وأعمل فى إحدى الشركات ..

معى فى العمل شاب أعتبره أنا رجلا مثاليًا جذبنى إليه بأدبه وذوقه ورقته فحفظت له أعظم تقدير .. وكانت نظراتى إليه كلها نظرات إعجاب بشخصه حتى إننى كنت أمتدح أخلاقه المثالية أمام زوجى .. إلى هنا والمشكلة تبدو طبيعية ..

ولكن الواقع أن النظرات استمرت وتبعتها نظرات من جهته .. نظرات طويلة وغير عادية ..

وذات مرة سألت نفسى ماذا وراء نظراتى له ..؟

إنى أحب زوجى حبًا جمًا وأقدس حياتى الزوجية ولا ينقصنى شىء فى الدنيا .. وبرغم اشتغالى نصف يوم خارج بيتى فأنا لم أفكر مطلقًا فى إهمال شىء بيتى أو زوجى ..

وزوجى يحفظ لى كل حب ومودة وتقدير ..

فما معنى هذه النظرات التى لا أستطيع أن أوقفها عند حد ؟!

لماذا تعلقت به عينى إلى هذه الدرجة ؟!

ولم أستطع الإجابة عن هذا السؤال ..

ولكنى كنت كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين .. شعرت بأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقًا أحكى له مشاكلى وعذابى وآلامى ..

ولكن هل هو كذلك ؟..

لا أعلم ..

فإلى الآن .. وبعد مضى حوالى عامين من النظرات الطويلة المتبادلة .. لم يفتح فمه بكلمة .. ولم يصارح أحدنا الآخر بدخيلة نفسه ..

وفكرت فى معنى نظراته الطويلة نحوى .. واكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات ..

ولست أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة .. مهما حاولت .. فإنها شىء فوق الوصف .. نظرات كلها حنين وأنين وشجن وهمس وصراخ ..

وأنا أحرص دائمًا على أن أظهر له فى كل دقيقة أنى لا أهتم به ولا أفكر فى أى رجل سوى زوجى .. ولكن فى أعماق نفسى أشعر أنى متعلقة به .. مشتاقة إلى النظر إليه فى كل لحظة ..

وقد فكرت فى هذا الوضع .. وفى كونى زوجة .. وفى الحرج الذى أشعر به .. ويشعر هو الآخر به ..

وهو من ناحيته يحاول دائمًا أن يبتعد عنى .. ويتجنب الانفراد بى فى مكان .. ويحاول أن يهرب .. وكلما سنحت فرصة لنبقى معًا يشعرنى بأنه مضطرب ثم يسرع بالاستئذان .. وفى اليوم التالى يحاول أن يظهر إهماله لى .. ولكن نظراته تعود فتفضحه . نظرات كلها شوق ولوعة ..

وهكذا تستمر المناورات بيننا .. ونقترب ونبتعد فى سلسلة من المحاولات اليائسة للهروب من المصير المحتوم .. ولكن طول الوقت لا يبدو علينا شىء .. لا شىء سوى مظهر الزمالة العادية .. وبعلم الله مابنفس كل منا .. والآن أشعر أن مشكلتى تتفاقم بسرعة ..

وأصبحت أمضى الساعات الطوال أفكر فيه وفى نظراته التى لم أعد أستغنى عنها .

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه ؟..

مارأيك ؟..

* * *

من الواضح أنك لم تتركى لى فرصة للرأى .. فأنت فى مواضع كثيرة من خطابك .. تسبقينى ... وتسبقين نفسك بوضع أحكام نهائية ترفض الجدل .. جذبنى أدبه وذوقه ورقته ..

كلما نظرت إليه شعرت بالراحة والحنين ، وبأنه إنسان طيب أستطيع أن أتخذه صديقًا أحكى له عذابى وآلامى .. ليه الآلام دى .. وليه العذاب ده كله .. إنك زوجة ونحبين زوجك وزوجك يحبك وتقدسين حياتك الزوجية ولا شىء ينقصك فى الدنيا .. كما تقولين ..

واضح أنك تفتعلين هذا العذاب لتجعلى من نفسك ضحية مسكينة فى حاجة إلى النظرات الحنونة .. المشتاقة .. الولهانة .. إلخ ..

إنك تضعين حيثيات وهمية لتستحلى بعد ذلك أى شىء ..

وهى نظرات .. يوه منها ..

أنا لا أستطيع أن أصف لك هذه النظرات الحلوة مهما حاولت فإنها شىء فوق الوصف .. ياسلام .. لا ياشيخة .. نظرات كلها حنين وشجن وهمس .. آى ..

اكتشفت أنى لا أستطيع أن أعيش بعيدة عن هذه النظرات .

طبعًا بعد كل هذا الإخراج .. مش ممكن ..

ماذا أفعل وقد أصبحت أحب عملى فقط من أجل أن أراه وأنظر إليه ..

يعنى بتهددينى كمان .. بأنك لن تستطيعى الاستمرار فى عملك .. لو أنك تركتيه لحاله ..

ناقص تقوليلى .. حاترفدنى .. وتقطع عيشى لو قلت لى سيبيه ..

إن المشكلة قطعًا ليست مشكلة شاب فى محل عملك ينظر إليك ..

إنك كامرأة متزوجة سوف تجدين فى كل مكان رجلا مستعدًّا للنظر إليك طول اليوم .

إن المشكلة هى مشكلتك أنت .. ومشكلة رغبة مستبدة تنمو فى قلبك .. خيانة زوجك .. رغبة بدون سبب .. فأنت تحبين زوجك وهو يحبك .. مجرد تخريب .. عبث ..

والنهاية طبعًا معروفة ..

نظرات طويلة متبادلة فى محل العمل .. خبص عينى عينك .. وفضيحة بجلاجل .. وخراب بيوت .. وسمعة طين ..

وفى النهاية بعد أن تخسرى كل شىء .. لن ينظر إليك حتى الرجل الذى أعطيته نفسك ..

سيظل يتخيل نفسه فى مكان زوجك الذى خنته وأنت تحبينه .. سيظل يشعر دائمًا أنك من جنس لا أمان لعاطفته أبدًا .. وهكذا تفقدين كل شىء .. كل شىء وتنتهين تمامًا ..

٥٠

التعود

أنا موظف صغير فى الدرجة الثامنة .. أقوم بمساعدة أهلى فى الريف بجزء من مرتبى وأعيش بالجنيهات القليلة التى تتبقى لى فى القاهرة .. فى غرفة بمفردى .. ومازلت « أعزب » إلى الآن ..

مضت على تعيينى ثلاث سنوات لم أدخر فيها شيئًا للزواج .. تعرفت على فتاة منذ ثلاث سنوات تعمل حكيمة فى الدرجة السابعة بأحد المستشفيات الحكومية .. سمراء ملفوفة .. تكبرنى سنًّا بحوالى خمس سنوات ...

كنت معها مثال الصديق المخلص طوال السنوات الثلاث من تعارفنا . كنا نتقابل دائمًا فى الخارج لنقضى الوقت فى أحد الكازينوهات أو إحدى دور السينما ..

ثم حدث أخيرًا أن دخلنا إحدى حفلات السينما التى تبدأ فى منتصف الليل وتنتهى فى الثالثة ..

وخرجنا فى الساعة الثالثة لنواجه مشكلة .. أين نذهب ..

أنا لم تكن عندى مشكلة لأنى أعيش وحدى وأستطيع أن أعود وحدى فى أى ساعة من الليل .. أما هى فلم تكن تستطيع العودة إلى بيت الحكيمات فى مثل تلك الساعة المتأخرة ..

وفكرت .. وفكرت .. ولم أجد حلاً .. وأخيرًا أخذتها معى إلى مسكنى لتقضى به بقية الليل ..

وأصارحك .. بأننا قضينا هذه الليلة كما نتمنى .. وعوضنا السنوات الثلاث التى كنا نلتقى فيها فى الخارج ..

وتكررت هذه الأشياء .. وأصبحت تتردد على منزلى .. وأصبحنا لا نسأل عن سيما أوكازيونو .. فالمنزل أحسن بكثير .. وكانت تبيت معى لأن عملها يخول لها ذلك .. فهى حكيمة وعندها ورديات بالليل .. وأحيانًا ورديات بالنهار ..

وأخيرًا فكرت فى الزواج منها وشجعتنى على هذه الفكرة .. وقالت لى إنها ستساعدنى فى كل شىء .. ولا داعى لأن أحمل هم التكاليف ..

ولكن عندى فى نفس الوقت أسبابا تجعلنى أتردد ... فهى ليست جميلة .. وهى أكبر منى سنًا .. وهى فى الدرجة السابعة وأنا فى الدرجة الثامنة .. وقد يدفعها هذا إلى أن تتصرف معى بغرور واستعلاء ، وأصحابى يقولون عنها إنها حكيمة ولها عمل ولن تكون متفرغة للمنزل ولا للزوجية .. هذا زيادة على أن طبيعة عملها ومبيتها بالمستشفى تجعلها تفعل مع الأطباء والمرضى كما تفعل معى .. وسوف تتأخر على كيفها ولن أستطيع أن أقول لها .. كنت فين ؟..

وهم يقولوا أيضًا إنها فى سنها الحالى وبعد أن فاتها قطار الزواج لا يهمها إلا أن تحصل على زوج ، أى زوج لتكون فى عصمة رجل .. ثم تعيش بعد ذلك على كيفها ..

ولكن الحقيقة الأكيدة التى أشعر بها .. أنها تحبنى وتعبدنى .. فى الوقت الذى أحبها أنا فيه بعض الحب فقط ..

وأنا حائر .. هل أتزوجها ؟..

* * *

لاشك أنك بحالتك الراهنة .. موظف فى الدرجة الثامنة وجزء من مرتبك يذهب إلى أهلك بالريف .. تعتبر .. عريس على قد حالك جدًا جدًا ..

وسوف تكون فى حاجة إلى زوجة تعمل وتكسب لتعاونك .. إذا فكرت فى الزواج ..

وبإيرادك الحالى الذى لا يزيد على سبعة جنيهات لن تجد من يرضى بك .. بسهولة ..

وإنها لنعمة من الله أن تجد امرأة تحبك وتعبدك .. ونحلم بالزواج بك .. وفى نفس الوقت تحبها ..

وحكاية الجمال كلام فراغ .. لأن التعود يقضى على الوحاشة وعلى الجمال .. والعين حينما تتعود على وجه وتألفه .. يفقد هذا الوجه ما يثيره فى النفس .. وتبقى الإنسانية والعشرة والاخلاق والحب والانسجام ، وهى أشياء أهم من الجمال فى الزواج ..

وما يقوله الناس عن المرأة العاملة من أنها ماخور يعب منها كل رجل كلام فارغ .. والذى أعلمه أن النساء العاملات أكثر عفة من غيرهن .

ولا شك أنكما أنتما الاثنان شريكان فى الخطيئة .. وليست هى وحدها التى يتوجه إليها الشك واللوم ولعل الله يتوب عليكما بالزواج والزواج ساتر وعاصم .

ورأيى إذا كانت شخصية صاحبتك تعجبك واذا كانت نيتها على الاستقامة صادقة .. أن تتزوجها ..

٥١

الجزاء من نفس العمل

أنا ترزى سيدات بالاسكندرية ..

تعرفت فى أحد الأيام بشاب فلسطينى من اللاجئين يغنى فى أحد الكباريهات .. ودعانى صديقى لمشاهدة البرنامج .. حيث عرفنى براقصة من زميلاته .. وقدمنى إليها على أنى ابن عمه ..

وأصبحت الراقصة زبونتى .. وعن طريقها تعرفت بامرأة غنية فى السابعة والثلاثين من عمرها ..

وقدمت نفسى للغنية الجميلة على أنى لاجئ فلسطينى مقطوع من شجرة . وقدمت لى نفسها على أنها أرملة عراقى كبير ومن عائلة معروفة ..

ونشأ بيننا حب جارف .. شربنا كاساته حتى الثمالة .. ونعمنا به جسدًا وروحًا .

ثم اكتشفت فجأة أنها تكذب علىّ .. وأنها قوادة مستهترة تتجر بالأعراض ، وليست أرملة عراقى وإنما هى أرملة كل الناس ..

ولم أستطع مكاشفتها لأن حبى لها كان قد ذهب بى بعيدًا .. وعبر حدود العقل والمنطق .. ولسبب آخر هو أنى أيضًا كذاب .. فلست « لاجئًا فلسطينيًا » .. ولست مقطوعًا من شجرة .. وإنما أنا مصرى .

وأبواى على قيد الحياة ..

لقد كان كلانا صعلوكًا مغامرًا ..

ولا أدرى ماذا أفعل الآن ..

أنا مخطئ وقد أوغلت فى الخطأ إلى حد تعذرت معه العودة إلى طريق السلامة ..

° ° °

سيدى ..

اشكر أقدارك على أن ضحيتك ليست فتاة ساذجة .. وإنما هى امرأة محتالة نازلتك بنفس سلاحك ..

إن قصتك تذكرنى بما قال ميترلنك عن العدالة ..

إنك لا تقابل إلا نفسك فى طريق القدر .. كن كاذبًا تسرع إليك الأكاذيب .. كن لصًا تتشبث بك الجرائم .. فى أى طريق تذهب لن يكون قدرك إلا صورة من نفسك ..

إن نهر الحياة الدافق ينساب تحت قبة السماء ويجرى بين حيطان السجون . وإلى جوار القصور وليس يعنينا حجمه ولا بريقه .. وإنما كل ما يعنينا هو حجم الكأس التى نغمرها فى مياهه .. وإن هذه الكأس لتأخذ دائمًا شكل أفكارنا ورغباتنا .. وتساوى سعة أشداقنا ..

إن حظك من الحب عادل ياصديق الصعلوك .. والكأس التى تشربها تساوى سعة قلبك ولون ضميرك ..

كلا كما طائران متشابهان ، وأسلم لكما وللمجتمع أن تظلا معًا إلى نهاية الطريق ..

٥٢

منافسة غير شريفة

توفى زوجى منذ عشرة أعوام .. وكان عمرى حين ذاك ثلاثين عامًا .. تاركًا لى ثروة كبيرة ، وثلاث بنات أكبرهن فى العاشرة ..

وكرست حياتى لبناتى حتى كبرن وتزوجت اثنتان إحداهما بمدرس فى كلية الهندسة .. والثانية بدكتور كبير .. أما الثالثة الصغرى فقد كبرت وأصبحت قورة فى سن السبعتاشر ..

وشاءت الأقدار أن تتعرف على شاب .. وسرعان ما أحبته وشغلت به .. واصبح محور احاديثها فى كل وقت ..

وأنا تعودت دائمًا ألاّ أتدخل فى شئون بناتى من ناحية اختيار الأصدقاء وفى العادة أكتفى بالإشراف من بعيد ، ولكنى حينما علمت أن هذا الشاب متوسط التعليم وأنه حاصل على التوجيهية فقط فزعت وخفت أن تنتهى هذه العلاقة إلى زواج فاشل غير متكافئ لا يليق بنا .. وطلبت من ابنتى أن أتعرف عليه ..

واجتمعت به فى النادى لأول مرة .. وتركتنا ابنتى بعد فترة .. وقضينا فترة نتحدث ..

كلمنى عن حياته وآماله ومشاكله .. وتكلم بصراحة مطلقة لم أعهدها فى شاب .. تحدث عن ظروفه فى عدم الاستمرار فى التعليم وكيف أنه دخل كلية الآداب ونجح فيها لمدة عامين ثم خرج لأنه كان يحلم بأن يكون مهندسًا .. ولم يجد فى الدراسة الأدبية شفاء لأحلامه .. وكيف أنه دخل الجيش وقضى فيه سنة

ونصف سنة ثم خرج .. وكيف استقر أخيرًا فى وظيفة محترمة بمرتب كبير . وكيف اقتضت منه الوظيفة أن يسافر إلى عدة بلدان أجنبية .. وأن يتقن ثلاث لغات ..

وبتعدد مقابلاتى له بالنادى أدركت أنه يمتاز باطلاع واسع فى مختلف الثقافات .. فى العلم .. والأدب والفلسفة .. وأن عنده مكتبة تضم حوالى خمسمائة كتاب .. وعرفت أن له شخصية قوية .. ولم يكن هذا رأيى وحدى . فإن الكل كانوا يهابونه ويحترمونه .. وأزواج بناتى كانوا يشكرون فيه أخلاقه وسلوكه .. فى الحقيقة اطمأننت إليه .. وقلت فى نفسى .. مادام فى مركز محترم وصفاته حسنة ، وشابًا مؤدبًا ، وفوق ذلك ابنتى تحبه فلا بأس ...

وشجعت هذه الصداقة ..

وأصبحت ابنتى لاتبتعد عنه .. وتتصل به كل يوم فى التليفون .. ويتقابلان كثيرًا ..

وكانت طول الوقت تحدثنى عن كل ما يحدث بينهما .. ومن حديثها عنه كنت أشعر أنه ذو أخلاق كريمة .. فهو لم يحدث أن عانقها أو قبلها بالرغم من أن الفرص كانت تواتيه وكان يحب ابنتى ويقدرها ويحترمها .. ويحدثنى عن علاقة الرجل بالمرأة على أنها علاقة إنسانية قبل أن تكون علاقة جسد ..

وبتوالى الأيام وحديث ابنتى عنه .. كنت أحس باشتياق له ، وأنتظر موعد حضوره فى النادى أسبوعيًا بلهفة شديدة .. وتحولَ اشتياقى إلى حب جارف ملتهب .. وكانت تولنى نظرته لى كأم ؛ حيث إنه فقد والدته وهو طفل .. ومع ذلك كنت أحبه وأعشقه وأتمناه زوجًا لى .. ولم لا ! فهو الرجل الذى يستطيع أن يسد مكان زوجى .. والشاب القوى الذى أحتاج إليه فى هذه السن .. ستقول عنى أنانية وخائنة فى حق ابنتى .. لكن أنا سيدة فقدت زوجى فى

الثلاثين ، والآن أشعر بالوحدة ، وسأكون وحيدة بعد أن تتركنى ابنتى الثالثة .. وأنا أحبه .. وأعشق رجولته وشهامته ..

وهكذا بدأت أفرق بينه وبين ابنتى حتى قطع رجله تمامًا من البيت .. ولكن الذى حدث كان أكثر من هذا .. فقد قطع رجله من النادى أيضًا ولم أعد أراه .. ولم يعد يتصل بى ولا بابنتى .. وكدت أجن من الشوق والتفكير .. ولازمنى القلق ..

وأخيرًا تشجعت وطلبته بالتليفون وقلت إنى أريده بالمنزل لمسألة هامة وأخليت المنزل ..

وحينما دق الجرس ورأيته أمامى .. فقدت أعصابى وألقيت بنفسى على صدره .. وعانقته وقبلته قبلات كثيرة .. كثيرة .. لم أفق منها إلا على صفعة .. لطمنى بها على وجهى وهو يبعدنى فى اشمئزاز وإنكار ، وأدار وجهه وخرج .. وتركنى ذليلة مكومة على أريكة ..

منذ تلك اللحظة وأنا أعيش فى صراع فظيع .. وأفكر فى الانتحار وأفكر فى أنى حقيرة .. ولكن ماذنب ابنتى ..

ابنتى تبكى ليلا ونهارًا .. وهو لا يتصل بها .. وهى تعتقد أنه سيخطب إحدى قريباته .. وهى لا تعلم الحقيقة .. ولا أجد عندى الجرأة لأقول لها الحقيقة ..

ماذا أفعل ؟.. إنى أتمنى أن يعود إلى ابنتى .. ولا أمل لى أكثر من أن يعيش الاثنان سعداء معى .. وأرى سعادتهما من حولى ..

اكتب له ليعود ..

* * *

إنه لن يعود ..

إن الشهامة والرجولة والأخلاق .. لا يمكن أن تعود إلى أمثال هذه البيوت .. البيوت التى يخليها أصحابها .. ويستدعون الرجال بالتليفون للخدمات المستعجلة ..

إن ابنتك بريئة .. ولكنها تعيش معك فى البيت .. والبيت ينقل عدواه لمن فيه .. ولا شك أنك كنت بريئة .. وأنت فى سنها .. وهذه البراءة لم تمنعك من السقوط فى سن الخمسين ..

وأسوأ مايخافه زوج شاب أن تختم حياته الزوجية بشناعة : إن شناعة فى سن الخمسين سوأ ألف مرة من سقوط فى سن العشرين ..

لأنها شناعة يائسة مخجلة ليس لها عزاء فيما تبقى من العمر ..

٥٣

الفريسة والصياد

أنا فتاة فى السادسة عشرة من عمرى .. جميلة .. وجذابة .. بدأت مشكلتى منذ حوالى سنة ونصف حينما كنت أعيش مع أمى ..

لم يكن ينقصنا شىء فى حياتنا .. فأمى امرأة غنية جدًا ترك لها والدى قبل وفاته أربع عمارات ذات إيراد كبير وعربة أنيقة جدًا .. وكانت تنفق بإسراف على زينتها وأناقتها ومظهرها .. وتعرفت أمى فى هذا الوقت على شاب فى السنة النهائية بكلية الآداب .. وكان شابًا أنيقًا .. وشرعت فى إغرائه بالفلوس .. وبالثروة التى فرشتها تحت قدميه ..

وكانت أحيانًا تصحبه معها إلى البيت الذى نعيش فيه .. وتكرر تردده إلى البيت كثيرًا ..

وفجأة وجدت أمى تخبرنى بزواجها من هذا الشاب الذى انتقل إلينا وأقام معنا .. وكان فى هذا الوقت قد تخرج فى الكلية والتحق بعمل محترم ..

ولاحظت أنه بدأ يتودد إلىّ وبدأ يعاملنى برفق وغزل ..

وفى يوم كانت أمى فى الخارج .. وجاء هو إلى المنزل وكنت وحدى فأخذ يلاطفنى حتى وجدت نفسى تحت تأثير كلماته المعسولة ملقاة على صدره وقد تلاقت شفتانا فى قبلات حارة ، ومنذ هذه اللحظة وأنا أحبه حبًا كبيرًا لا أقوى على مقاومته ..

وأصبحت أنتظر اللحظات التى نختلى فيها بأنفسنا ، وأقسم لك أن علاقتنا لم

تتعد القبلات والأحلام الجميلة واتفق معى على كل شىء ..

اتفق على أن يطلق أمى ويتزوجنى .. وفعلا تم الطلاق ..

وحتى هذا الوقت لم تكن أمى تعلم بشىء حتى فاجأتها بأنى سوف أتزوج من هذا الشاب الذى طلقها فجن جنونها وثارت ، وهددتنى بحرمانى من الميراث ، وبرغم ذلك صممت على الزواج منه ..

إنى أحبه .. أحبه .. أحبه .. سنة كاملة وعدة شهور ونحن ننعم فى نشوة الحب ..

وقد تعقدت المشكلة أخيرًا حينما أخبر أهله بنية زواجه فهاجوا جميعًا ووقفوا حائلا ضده بحجة أن الشرع لا يبيح مثل هذا الزواج ..

إنى أتعذب ..

لم تكن جريمة أن أحب شابًا تقرب سنه من سنى حبًا شريفًا خالصًا .

لقد اعترف لى أنه أخطأ بزواجه من أمى .. وأن حاجته إلى الفلوس فى ذلك الوقت هى السبب ..

إننا نتعذب : ماذا نفعل ؟..

* * *

تأكدى أن الشرع على حق ..

إن الرجل الذى يشتهى الأم وابنتها فى نفس الوقت لا يمكن أن يؤتمن على كلمته أو على نظرته .. إنه زائغ الشخصية ..

وهذه حقيقة رجلك .. إنه زائغ الشخصية .. عينه زائغة بين فلوس أمك .. وشباب ابنتها .. وتأكدى أن عقله الطماع يرمى إلى مرام بعيدة .. فهو يعرف جيدًا أن أمك لا يمكن أن تحرمك من الميراث .. وأنها مهما كانت قاسية

فإنها سوف تلين فى النهاية وتعطيك حقك .. وهكذا تقعين له كما تقع الفاكهة المستوية .. جمال ومال ..

إنه ينظر إليك بنفس المنطق الذى كان ينظر به إلى أمك .. على أنك صيدة ..

إن كل شخصية لها منطق يحكمها .. والشخصية تغير سلوكها ولكنها لا تملك أن تغير منطقها .. لأن منطقها هو جوهرها وروحها .. وهذه روح صاحبك ..

إنه رجل سيئ .. تجنبيه .. ليس بسبب الشرع فقط .. وإنما لأنه إنسان كذاب .. عواطفه كذابة ..

٥٤

ليست أفعى

أنا شاب فى الثلاثين من عمرى أشغل منصبًا كبيرًا ومرتبى حوالى مائة جنيه .. متزوج منذ ٦ سنوات ولى أربعة أبناء وسن زوجتى ٢٥ سنة .. وباختصار أقول لك إن زوجتى متكاملة .. جامعية .. جميلة .. موظفة .. ست بيت .. أم .. زوجة .. حبيبة .

سارت حياتى الزوجية سوية نظيفة طوال هذه السنوات الست ، لم يتخللها شجار ولا تفكير فى خيانة ولا حتى نظرة منى إلى أية امرأة .

طول هذه المدة لم أشته امرأة ولم أفكر فى أنثى ، ولم يخطر على بالى مخلوق غير زوجتى .

كان شغلى الشاغل هو بيتى وأولادى وامرأتى .

بدأت تتسلل إلى نفسى – ولا أقول إلى قلبى – أفعى فى شكل فتاة سنها ١٧ سنة .

تسللت إلى مشاعرى أولاً عن طريق العطف ، فهى عاملة بسيطة ، مرتبها عشرون جنيهًا شهريًا .. عادية بل أقل من العادية ، ظروفها المادية والعائلية والاجتماعية تعسة جدًا فهى تعيش مع أسرتها المكونة من والدها طريح الفراش منذ عشر سنوات ، ووالدتها التى تكافح فى سبيل اللقمة وأختها الطالبة ، وأختها الأخرى العاملة ، كلهم يعيشون فى غرفة واحدة فى بدروم .

والبنت على مسحة من الجمال .. عطفت عليها وساعدتها ماديًا حينما شكت

فى ظروفها ثم دعتنى إلى منزلها واستقبلنى أهلها بحفاوة كبيرة .

ولكن هذه الأيام .. بدأت المشكلة .

وأخذت أتردد عليهم وأقنع نفسى بأى سبب للذهاب .

وبالتدريج أخذت هذه الفتاة تحتل مكانة فى نفسى تزداد بمرور الوقت .

وأخيرًا .. اشتهيتها .. نعم اشتهيتها .. وقبلتها خلسة .. على السلم .. ودعوتها للخروج معى (إلى أماكن عامة فقط) كل هذا دون أن تدرى زوجتى .

وهذه التصرفات تجعلنى أحتقر نفسى .. وأنا الذى كنت أحرم على عينى أن تنظر إلى امرأة غير زوجتى حتى ولو كانت ملكة جمال .

إنى أشعر أن حياتى الزوجية .. وكيانى وبيتى .. ومستقبل كله يتهدم .

هل تصدق أنى لم أعد أستطيع النظر فى عين زوجتى .

هذا الشعور يعذبنى .

إنى واقع فريسة سهلة لدوافع متضاربة .. العطف والإشفاق .. وإغراء النزوة بعد ست سنوات من الحياة فى طهارة .. والملل .. والحياة الرتيبة الخالية من المغامرة .

والبنت متعلقة بى جدًّا ، وطبعًا لها حق فأنا لقطة بالنسبة لها بالرغم من أنى متزوج وعندى أولاد ولست من دينها .. ودينى يمنعنى من تعدد الزوجات .

أحاول أن أتخلص منها وألعن الظروف التى عرفتنى بها .. ولكنى أعود فتنهار مقاومتى وأسرع إلى لقائها .

تعودت منذ صغرى أن أصلى إلى ربى مصدر عزائى ورجائى . أما الآن فإنى أخجل من المثول بين يديه .. وماذا أقول له .

لا أريد منك أن تقول اتركها .. فإن عطفى على هذه الأسرة يزداد يومًا بعد

يوم وعلاقتى بالفتاة تزداد بدرجة تجعلنى عاجزًا عن الاستغناء عنها .

وأنا محتار بين بيتى الذى أقدسه .. وهذا الشعور الجديد الذى اكتسحنى .

* * *

واضح جدًّا أنك الجانب الأقوى والأقدر فى هذه المشكلة .. وأنك سيطرت على البنت الفقيرة وعلى أسرتها بمالك ومساعداتك المادية وعطفك (المشكوك فيه) .. وأنك استدرجتها .. وأنك الفخ والصياد ولست الضحية كما تصور لنفسك .

وليس صحيحًا أنك لقطة .. فأنت متزوج ولك أولاد ومن دين غير دينها ودينك لا يسمح لك بتعدد الزوجات .. إذن سوف تجرها خلفك (وانت ابن الثلاثين وهى بنت السبعتاشر) بدون أمل وبدون جدوى سوى مساعداتك المالية .

وسوف تكون نتيجة حبها لك أن تفوتها فرص كثيرة فى الزواج وفى الحب من شاب ند لها .. فمن منكم الضحية .. أنت أيها الرجل القادر القوى الغنى المستغنى .. أم هى التى تعيش مع أمها المكافحة وأختها العاملة وأبيها المشلول فى غرفة فى البدروم .

وأنت تسميها أفعى . وأنت الأفعى الذى تلتف حولها لتعصر عودها وشبابها وعمرها بقروشك وعطفك الكاذب .. وفى النهاية سوف تبكى وتقول .. هدمت لى بيتى .

كفى رثاءً لنفسك .. بدون داع .. واترك البنت لحالها وإذا أردت أن تساعدها فساعدها بكرم ورجولة دون أن تختلس منها القبلات على السلم .

وثق أنك إذا دامت علاقتك فسوف تنتهى حياتك الزوجية إلى الدمار المؤكد .

٥٥

جدير بالإشفاق

بدأت مشكلتى عندما تزوج والدى .. وكان زواجه بعد أربعين يومًا من وفاة أمى – من سيدةمطلقة ولها ولدان أحدهما أكبر منى بسنة .

وكانت معاملة زوجة أبى حسنة لدرجة جعلتنى أقول لنفسى ، لو أن أمى كانت على قيد الحياة لما عاملتنى أحسن من هذه المعاملة .

ومازلت أقول هذا الكلام بعد مضى تسع سنوات على زواج أبى .

لم تكن زوجة ابى هى المشكلةإذن .. ولكن المشكلة كانت فى أبى الذى بدأت تتغير معاملته لى بعد زواجه بدرجة أفزعتنى .. فهو كل يوم يحلفنى على المصحف ألا أخونه ولا أهتك عرضه ولا أغرى امرأته .. ولو قلت لك إن عدد هذه الحلفانات اليومية بلغت عدد شعر رأسى لما كنت كاذبًا .. فقد أصابت الرجل لوثة الغيرة والشك جعلته يرتاب فىَّ كل لحظة بدون مبرر وبدون داع .. وهو فى كل مرة يرتاب فيها يأتى بالمصحف لأحلف عليه ويطلب منى أن أقسم بعهد الله وبنور عينى وشبابى بأنى لم أفكر فى امرأته ولم أشتهها ، ولم أنظر إليها نظرة حرام .

وفى رمضان كان يغلق عليها حجرات النوم ويأخذ المفتاح معه وأحيانًا يترك الباب مفتوحًا ليعود بعد دقائق يتجسس ويفتش وتطور الشك فى ذهنه إلى تصورات وهمية .. مرة يقول لى إنى أمسك ذراعها ، ومرة يقول إنى تحسست شعرها ، ومرة يقول إنى قبلتها ، مع العلم بأنها امرأة فى سن أمى نصيبها من

الجمال والجاذبية لايزيد على ٤ من ١٠ .

وتطورت حالته فأصبح لا يسمح لى بالبقاء فى البيت إذا خرج ، فهو يأخذنى معه حينما يخرج فى الصباح الساعة التاسعة ، ولا يسمح لى بالعودة قبل الواحدة .. وفى المساء يأخذنى معه الساعة السابعة لأتسكع كما أشاء ولا أعود قبل التاسعة .

وهو يعطى الخادمة تعليمات مشددة بأن تلازم الست طول الوقت ولا تخرج لقضاء أى طلب .. وإذا اكتشف أنها خرجت لأى غرض أصابه الهوس وبدأ يفتح تحقيقات لا آخر لها .

وأنا الآن طالب فى جامعة الإسكندرية فى السنة الثانية . ومن حسن حظى أنى أترك هذا المورستان وأرتاح منه طول السنة الدراسية .. ولكن ما تكاد الإجازة تبدأ وأعود إلى البلد حتى يعود العذاب والجحيم و « س » و « ج » .

آخر مرة أقام معى تحقيقًا طويلا عريضًا لأنه رآنى أقف بجانبها عند الثلاجة .

ومرة أخرى كنت آخذ من المطبخ ملعقة وكانت واقفة تطبخ .. إزاى أدخل عليها .. وأتلصص .. وأنظر إلى ساقيها ومفاتنها (ياريتك تشوف السيقان الغاب دول) .

العائلة فى خصام معه لأنه تزوج بعد وفاة أمى بأربعين يومًا ولأنه باع أرضًا تركتها لى أمى وأنفق ثمنها .. وهذه طبعًا مسألة ثانوية لا تهمنى .. إنما المأساة فى هذا التفكير الذى يفكر فيه والشك حتى حينما أترك البلد لأذهب إلى الإسكندرية تلازمنى همومى وتمنعنى من المذاكرة .

لا تظن أن والدى تعليم متوسط ، إنه رجل متعلم تعليمًا عاليًا وموظف درجة أولى على المعاش منذ ثلاث سنوات .

لقد فكرت أن أنتحر ولكن إيمانى منعنى .

ماذا أفعل فى هذا الجحيم الذى أعيش فيه ؟

* * *

إن من يعيش فى الجحيم الحقيق هو أبوك .

أنت تشارك بنصيب المتفرج شهورًا قليلة من كل سنة ، ولكن الذى يتقلب على جمر النار هو أبوك ، وكل الوساوس التى يحترق فيها لا أصل لها بالطبع ، إنها محض خياله وتصوراته .

ولكن رجل هذا خياله وتصوراته .. هو رجل مسكين جدير بالإشفاق ، والظاهر أنه تزوج فى خريف رجولته وأنه لم يعد يجد فى نفسه الكفاءة التى كان يجدها فى شبابه فانعكس شعوره بالنقص إلى شك فى زوجته وفى كل شاب يملك ما لا يملكه .

أبوك مريض .. وحالته حالة سيكوباثية .. ويجب أن تعيد النظر فى مشكلتك ولا تنظر فى أنانية إلى ما تعانيه أنت وحدك .

وتأكد أنك لو نظرت إلى عذابه فسوف يهون عليك عذابك .

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

رقم الإيداع	١٩٩٧/٧٨٥٤
الترقيم الدولى ISBN	977-02-5437-1

١٩٧/٢٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج م . ع)